إلى الذي سألني عن قوله تعالى:

"يا أختَ هارونَ..."

دراسة تدحض الادّعاء بخطأ القرآن الكريم

الدكتور
أمين منتصر

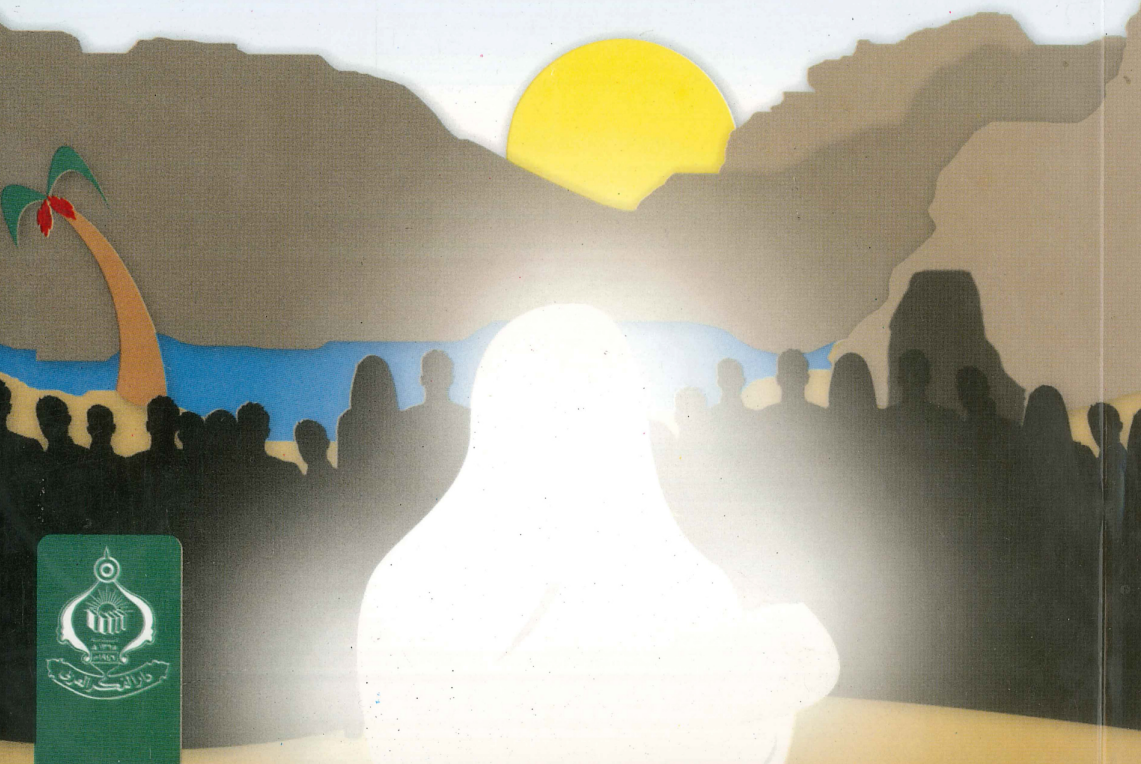

إلى الذي سألني عن قوله تعالى:

"يا أختَ هارون..."

دراسة تدحض الادعاء بخطأ القرآن الكريم

دكتور

أمين منتصر

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٢٧٥٢٧٩٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

٦ أ شارع جواد حسني - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧

www.darelfikrelarabi.com

info@darelfikrelarabi.com

٢١٦,٢ أمين منتصر.
أم إل إلى الذى سألنى عن قوله تعالى: يا أخت هارون: دراسة تدحض الادعاء بخطأ القرآن الكريم/ أمين منتصر.- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
١٠٤ص؛ ٢٤ سم.
ببليوجرافية: ص١٠١-١٠٤.
تدمك: ٢ -٢٦٣٧-١٠- ٩٧٧.
١- القرآن الكريم، دفع مطاعن. أ- العنوان.

جمع إلكترونى وطباعة

التنفيذ الفنى
حسن الشريف

رقم الإيداع	١٦٤٤٢ / ٢٠١٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

إهـــداء

إلى كل باحث عن الحقيقة
بموضوعية ودون تعصب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ﷻ:

﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

(سورة البقرة ، الآيتان ١ ، ٢)

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾

(سورة النساء ، الآية ٨٢)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾

(سورة الكهف: الآية ١)

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾

(سورة مريم، الآية ٢٨)

صدق الله العظيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة	١٣
الفصل الأول	
محتوى كتب التفسير والسنة الشريفة	١٧ - ٦٢
قصة الآية:	١٩
القصة من القرآن الكريم:	١٩
أولاً: من سورة آل عمران.	١٩
ثانيًا: من سورة مريم.	٢٠
القصة من المراجع الإسلامية:	٢١
تفسير رسول الله ﷺ.	٢٩
رأي السيدة عائشة رضي الله عنها .	٣٠
محتوى كتب التفسير.	٣٠
تقسيم التفاسير:	٣١
أولاً: كتب التفسر بالمأثور:	٣١
أ- التفاسير بالمأثور للمفسرين الأوائل:	٣١
١- تفسير ابن عباس ﷺ.	٣٢
٢- تفسير الطبري.	٣٢
٣- تفسير ابن كثير.	٣٣
٤- تفسير البغوي.	٣٥

٥- تفسير ابن أبي حاتم. ٣٥
٦- تفسير السيوطي. ٣٦
ب- التفاسير بالمأثور للمفسرين المتأخرين. ٣٦
ثانيًا: كتب التفسير بالرأي: ٣٨
أ- التفاسير بالرأي للمفسرين الأوائل: ٣٨
١- تفسير الجليلين (الجلالين). ٣٨
٢- تفسير القرطبي. ٣٩
٣- تفسير الرازي. ٣٩
٤- تفسير الزمخشري. ٤٠
ب- التفاسير بالرأي للمفسرين المتأخرين: ٤٠
١- تفسير سيد قطب. ٤٠
٢- تفسير المراغي. ٤١
٣- تفسير رشيد رضا. ٤١
ثالثًا: كتب التفسير الجامعة: ٤٢
أ- التفاسير الجامعة للمفسرون الأوائل: ٤٢
١- تفسير الألوسي. ٤٣
٢- تفسير الشوكاني. ٤٣
٣- تفسير الماوردي. ٤٤
٤- تفسير السعدي. ٤٤
٥- تفسير ابن أبي زمنين. ٤٤
ب- التفاسير الجامعة للمفسرون المتأخرين: ٤٥
١- تفسير الصابوني. ٤٥
٢- تفسير الشعراوي. ٤٥
٣- التفسير الميسر. ٤٥
٤- تفسير طنطاوي. ٤٦

خلاصة محتوى كتب التفسير. ٤٦
خطأ علمي. ٤٨
الأخوة في القرآن الكريم ٤٩
١- أخوة الدم. ٤٩
٢- أخوة الرضاعة. ٥٠
٣- أخوة المصاهرة. ٥١
٤- أخوة النبوة. ٥١
٥- أخوة الدين والإسلام. ٥٢
٦- أخوة الإيمان. ٥٢
٧- أخوة القوم والعشيرة. ٥٢
٨- أخوة المعايشة. ٥٢
٩- أخوة الإنسانية. ٥٣
١٠- أخوة التشابه والتماثل. ٥٣
١١- أخوة الآيات. ٥٣
١٢-أخوة النفاق والكفر. ٥٤
١٣- أخوة الشيطان. ٥٤
تحديد الهوية: ٥٤
أولاً: هوية هارون. ٥٥
عرض الاستنتاج على المعطيات الإسلامية: ٥٧
أ- الاستنتاج لا يتعارض مع السنة الشريفة. ٥٧
ب- الاستنتاج لا يتعارض مع قول عائشة رضي الله عنها. ٥٨
جـ- الاستنتاج لا يتعارض مع محتوى كتب التفسير. ٥٨
ثانيًا: هوية مريم. ٥٩
ثالثا: هوية مريم أخت موسى وهارون عليهم السلام. ٦١

الفصل الثاني
هارون عليه السلام... لماذا ؟ ٦٣ - ٩٩

القرابة بين العذراء مريم وهارون عليهما السلام. ٦٥
أ- العذراء مريم عليها السلام صديقة وليست إلهة. ٦٥
ب- الأنبياء كلهم أخوة. ٦٦
جـ- العذراء مريم وهارون وموسى من سلالة يعقوب عليهم السلام. ٧٥
أوجه التشابه بين آل عمران الأولى وآل عمران الثانية. ٧٦
١- كل من البيتين ينتمي إلى كبيره عمران. ٧٧
٢- كل من البيتين اتسم بالصلاح والتقوى. ٧٧
٣- تشرف كل من البيتين بوجود أكثر من نبي بين أبنائه. ٧٧
٤- اتسم أنبياء كل من البيتين بسمات متماثلة منها: ٧٨
أ- القرابة الشديدة بين أنبياء كل بيت. ٧٨
ب- عاش أنبياء كل بيت معًا في أرض واحدة. ٧٨
جـ- عاش أنبياء كل بيت معًا في زمن واحد. ٧٨
د- تعاون أنبياء كل بيت معًا من أجل الدعوة إلى الله. ٧٨
٥- تشرف كل من البيتين بوجود رسول من أولي العزم من بين أبنائه. ٧٨
٦- ميلاد رسول كل من البيتين كان بمعجزة إلهية عظيمة. ٧٨
٧- تشرف كل من البيتين بنزول أحد الكتب السماوية
على أحد أنبيائه. ٧٩
٨- ينتمي آل كل بيت إلى نبي الله يعقوب عليه السلام. ٧٩
٩- ينحدر أفراد كل من البيتين من الأسباط. ٧٩
١٠- لكل من البيتين ابنة اسمها مريم. ٧٩
١١- أرسل أنبياء كل من البيتين إلى بني إسرائيل. ٧٩
١٢- أبناء كل بيت من سدنة المحراب. ٨٠

١٣- كان لرسول كل بيت معجزة خلق إلهية. ٨٠
١٤- تشرف رسول كل بيت بأن كان الكلام المعجز
من بين ما اختصه الله به. ٨٠
١٥- كل بيت من البيتين من بين أنبيائه من صعد إلى السماء. ٨٠
١٦- يتشرف كل بيت من البيتين بأن تكون أحد بناته
زوجة لرسول الله محمدﷺ في الجنة. ٨٠
١٧- كان جوهر رسالة كل رسول من البيتين نفي الألوهية عن
العباد والإقرار بالوحدانية لله. ٨١
التآخي بين البيتين وأفرادهما: ٨٤
أخوة الدم. ٨٥
أخوة النبوة. ٨٥
أخوة الدين. ٨٥
أخوة الإيمان. ٨٦
أخوة المعايشة. ٨٦
أخوة الإنسانية. ٨٦
لماذا نبي الله هارون عليه السلام بالذات؟ ٨٧
١- نبي الله هارون عليه السلام كان الأكبر سنًا. ٨٧
٢- التشابه يكون بين متماثلي الدرجات. ٨٩
٣- موقف العذراء مريم عليها السلام كان يحتاج إلى هارون عليه السلام
الذي يتسم بحسن التصرف واللطف في التعامل. ٨٩
٤- عرف أبناء هارون عليه السلام بأنهم من الأكثر غيرة على العرض
والشرف وكان الموقف يستلزم ذلك. ٩٠
٥- عرف نبي الله هارون عليه السلام بأنه ممن يُشد به الأزر
ويعين على المواقف الصعبة وكان الموقف يستلزم ذلك. ٩١
٦- عرف نبي الله هارون عليه السلام بحكمته في إدارة الأزمات. ٩٢

٧- نبي الله هارون عليه السلام كان طيب القلب يحبه بنو إسرائيل. ٩٣
٨- تضمنت زرية نبي الله هارون عليه السلام أنبياء وذلك على غير الحال بالنسبة لذرية نبي الله موسى عليه السلام. ٩٤
٩- عرف نبي الله هارون عليه السلام بفصاحة اللسان والقدرة على الإقناع وكان الموقف يتطلب من يدافع عن العذراء مريم ووليدها عليهما السلام. ٩٤
١٠- تعتبر العذراء مريم أختًا لأولاد هارون عليهم السلام في النبوة والإيمان والقوم والعشيرة والمعايشة والإنسانية وأختهم بالتشابه والتماثل. ٩٦
فضل القرآن الكريم على غير المسلمين: ٩٨
أولاً: فضل القرآن الكريم على اليهود. ٩٨
ثانيًا: فضل القرآن الكريم على المسيحيين. ٩٩

المراجع ١٠١

الحمد لله الذي هدانا للإسلام والإيمان، والصلاة والسلام على رسول الله محمد ﷺ الذي فتح الله به العيون وأنار به القلوب فخرجت به البشرية من الظلمات إلى النور.

فالقرآن الكريم هو الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من أي صوب أو حدب، فهو يحمل بين آياته الكريمة برهان كماله، ودليل صحته ودقته. وصدق الله ﷻ بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[1]، فالحمد لله الذي أنزل هذا القرآن مستقيماً دون ميل، خاليا من أي خطأ أو عيب؛ فلا تناقص ولا تناقض فيه.

لقد دأب أعداء الإسلام من ذوي الديانات الأخرى على الطعن في دقة كتاب الله المعجز كطريقة يدافعون بها عن دياناتهم. وهم في طعونهم هذه لا يكلفون أنفسهم أي جهد لقراءة القرآن وتفحصه بل لا يرون الآيات إلا بأعينهم وقلوبهم المغلقة دون محاولة قراءتها أو فهمها أو محاولة البحث عن تفسيرها، على الرغم من أن القرآن الكريم يفسر بعضه البعض. فالباحث عن تفسير آية معينة بالقرآن الكريم يمكن أن يجده في آيات أخرى به.

(١) سور الكهف، الأية الأولى.

وحدث أن جمعتني الظروف بأحد أصدقائي من غير المسلمين، والذي يحتل مكانة كبيرة في أحد دور العبادة، في جلسة ود ومحبة وجرى الحديث عن الديانات المختلفة، وتطرق الحديث بطبيعة الحال عن المحتوى الديني للكتب السماوية المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن. ولقد كنت في هذه المناقشة حريصًا على الحوار بموضوعية وبدون تحيز متمسكًا بقواعد الحوار البناء، إلا أنني فوجئت بصديقي -غير المسلم- يقول لي بوضوح: إن بالقرآن خطأ !!! فسألته بهدوء شديد ماذا تقصد بذلك؟ فقال: إن القرآن به آية تقول لمريم والدة السيد المسيح عليه السلام (يا أخت هارون) وهارون عليه السلام نبي الله ليس أخوها، بل هو أخو نبي الله موسى عليهما السلام، وكان يقصد بذلك الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[1] . وهنا كان يتعين أخذ الأمر بموضوعية وبهدوء ومحاولة فهم التفسير الصحيح للآية ومغزاها دون أن يفت ذلك في عضد إيماني القوي الراسخ.

ومن ثم كان لا بد من البحث عن المغزى الصحيح لهذه الآية الكريمة، وفي هذا المقام لم يكن متاحًا لنا سوى الرجوع إلى كتب التفاسير ولم أجد في هذه الكتب ما يشفي الغُلة، إلا أنه بالمداومة على الدراسة في هذا الموضوع في المراجع الإسلامية من كتب التفاسير وكتب الأحاديث، وكتب التاريخ الإسلامي، وتاريخ الأنبياء وغيرها وفقني الله إلى الفهم والتفسير - الذي أعتقد أن يكون صحيحًا - ويشفي الصدور في هذا الموضوع، بل يغلق باب الطعن في القرآن الكريم من هذه الناحية.

ولقد قُسم هذا المؤلَّف إلى فصلين، أولهما تضمن دراسة المحتوى العلمي لكتب التفسير والسنة الشريفة حول تفسير قوله ﷻ : ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾. ولقد قسمت كتب التفسير إلى التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والتفسير الجامع. وقد تم تناول كتب هذه الأقسام بالنسبة للمفسرين الأوائل والمفسرين المتأخرين.

---

(١) سورة مريم، الآية ٢٨.

وتضمن الفصل الثاني دراسة عن ماهية هارون ومريم في الآية موضع الدراسة... وتلى ذلك دراسة أسباب انتساب العذراء مريم عليها السلام للنبي هارون عليه السلام.

وفي الصفحات التالية دراسة تتناول ذلك. والله أسأل التوفيق والسداد، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل باحث عن الحقيقة بتجرد وموضوعية، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله الموفق والمستعان،،،

دكتور/ أمين منتصر

رمضان عام ١٤٣١هـ

سبتمبر عام ٢٠١٠م

الفصل الأول

المحتوى العلمي
لكتب التفسير والسنة الشريفة

الفصل الأول

محتوى كتب التفسير والسنة الشريفة

فيما يلي دراسة تتناول المحتوى العلمي لكتب التفسير والسنة الشريفة حول قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾. كذلك يتناول هذا الفصل مفهوم الأخوة وأنواعها في القرآن الكريم، والسنة الشريفة.

قصة الآية:

وقبل محاولة تفسير قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [1] نوضح فيما يلي قصة هذه الآية.

وقصة هذه الآية هي قصة ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: وهي قصة حقيقية وعجيبة وفريدة في تاريخ البشرية؛ إنها قصة ولادة عذراء بتول بدون زوج. وهي قصة تدل دلالة قاطعة على كمال وتمام قدرة الله ﷻ.

إنها قصة أحد أوجه الإعجاز القرآني بالإخبار بعلم الغيب الماضي .. إنها رواية توضح صدق ودقة القرآن الكريم حتى وإن ادعى البعض من غير المسلمين غير ذلك.

القصة من القرآن الكريم:

وقبل الخوض في سرد هذه القصة الفريدة العجيبة نذكر فيما يلي هذه القصة كما وردت في القرآن الكريم:

أولاً: من سورة آل عمران:

قال ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

(١) سورة مريم، الآية ٢٨.

ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1].

وقال ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[2].

ثانيًا: من سورة مريم:

قال ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا وَٱلسَّلَٰمُ

---

(١) سورة آل عمران، الآيات من ٣٥ إلى ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآيات من ٤٢ إلى ٤٤.

عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾[1] صدق الله العظيم

القصة من المراجع الإسلامية:

فيما يلي دراسة قصة الآية الكريمة كما وردت في المراجع الإسلامية المختلفة:

١- بيت شريف:

والعذراء مريم ابنه عمران عليها السلام من سلالة نبي الله داود عليه السلام، وهي ابنة حنة بنت فاقوذ. وكان والدها عمران رجل تقوى وورع ومقيما لصلاة بني إسرائيل وصاحبها في زمانه. وكانت والدتها من العابدات القانتات في زمانها.

٢- نذر واستجابة:

وكانت أم الطاهرة مريم عاقراً لا تحمل، فرأت يومًا طائرا يسير بجوار فرخ صغير له فحنت إلى الولد واستاقت لذلك كثيرًا واشتهته فناجت ربها، ونذرت لله إن حملت وأعطاها الله الولد ستهبه محررًا خالصًا ليتعبد ويخدم في بيت المقدس، فاستجاب لها ربها فحاضت مر فورها فلما طهرت واقعها زوجها فحملت بالبتول مريم عليها السلام. فلما وضعتها فوجئت بأنها أنثى وكانت تأمل أن يكون ذكرًا لأنه ليس الذكر كالأنثى في خدمة بيت الله كبيت المقدس، وكان بنو إسرائيل في ذلك الزمان ينذرون أولادهم ليخدموا في بيت المقدس، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[2].

٣- اعتذار للرب:

وهنا اعتذرت أم العذراء مريم عليها السلام لربها على ما تصورت من عدم قدرتها على الوفاء بنذرها على النحو المرجو، وأسمت وليدتها مريم، واستعاذت بربها

---

(١) سور مريم، الآيات من ١٦ إلى ٣٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٥.

لحمايتها وحفظها من الشيطان الرجيم. وفي ذلك يقول الله ﷻ في محكم آياته: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1].

٤- قبول حسن:

وكان اعتذار السيدة حنة لربها لتصورها عدم قدرتها على الوفاء بنذرها على نحو ما أرادت من التمام والكمال على أساس أن الذكر الذي طلبته ليس كالأنثى التي وهبتها. إلا أن العليم الخبير تقبل نذرها على الرغم من أن الوليدة أنثى وليست ذكرًا وتقبل الله ﷻ الوليدة مريم عليها السلام بقبول حسن وبتكريم كبير، وهيأ لها كل الظروف لتنبت نبتة حسنة طيبة، ووهبها الرزق الوفير بغير قيود زمانية أو مكانية فكان عندها فاكهة الصيف والشتاء الموجودة في أي بقاع.

وكذلك هيأ ﷻ لها نبي عابد قانت هو زكريا عليه السلام، ليقوم برعايتها وحمايتها والقيام على جميع أمورها الحياتية، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[2].

٥- اختيار الله أفضل كثيرًا لها:

وبذلك أوضح الله ﷻ أن هذه الأنثى الموهوبة لبيت المقدس أفضل كثيرًا من الذكر وأرفع منه شأنًا وأن الله ﷻ قد أعدها وجهزها لما سوف يتعلق بها من عظائم الأمور في المستقبل[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٣٧.

(٣) استدل الكاتب بهذه القصة على صدق القرآن الكريم في سورة لقمان بالآية ٣٤ عن العلم بما في الأرحام كأحد الغيبيات الخمس التي اختص الله ﷻ بها ذاته العليه، إذ إن معرفة السيدة أم مريم عليها السلام بجنس وليدتها، حتى بعد أن ولدتها وخرجت من الرحم إلى الحياة الدنيا، لم يكن أكثر من معرفة لجنسها ذكرًا أم أنثى فقط، لكن الله العليم هو وحده الذي يعرف كل شيء عن هذه الأنثى وعن مستقبلها وما أعده الله لها. أقرأ للمؤلف كتاب «العلم بما في الأرحام ... القرآن الكريم يحسم الجدل نهائيا» دار الفكر العربي، القاهرة.

٦- نشأة قويمة:

ولقد نشأت العذراء مريم عليها السلام في بني إسرائيل نشأة قويمة، فكانت من العابدات الناسكات المشهورات بالعبادة والتقوى والورع. ولقد اعتكفت مريم البتول ببيت المقدس على نحو ما وهبتها أمها لهذا البيت الكريم المقدس.

٧- مبلغ النساء:

ولما بلغت العذراء مريم مبلغ النساء وهو ما يلحق بها من حيض ونفاس ويتطلب منها الصيانة عن التبرج، اختارت عليها السلام أن تبتعد عن أهلها وقومها وتنتحى عنهم جانبًا، لتتفرغ للعبادة بالمحراب في مكان شرق المسجد الأقصى، وتعتكف في عزلة وهدوء لتكون مع ربها بقلبها وبكل كيانها وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾[1].

ولقد ساعدها ذلك على أن تستتر عن قومها، وأن تتوارى عنهم على نحو ما أوضح الله في كتابه الكريم بقوله: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾[2].

٨- رسول الله إليها:

ولقد أرسل الله الخالق المصور إليها في عزلتها جبريل عليه السلام، والذي تمثل لها في صورة بشر تام كامل، وكان في صورة شاب أبيض الوجه جعد الشعر مستوي الخلقة، جميل الصورة: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[3].

٩- عفاف وورع:

ومما يدل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من هذا الشاب الجميل الصورة فائق الحسن: ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾[4] إذ فزعت وخافت أن

(١) سورة مريم، الآية ١٦.
(٢) سورة مريم، من الآية ١٧.
(٣) سورة مريم، من الآية ١٧.
(٤) سورة مريم، الآية ١٨.

يكون قد أراد سوء بها، فقالت له إنني أحتمي بالله منك، وأذكرك بقوة الله إن كنت إنسانًا تقيًّا عابدًا. فقال لها جبريل عليه السلام، مهونًا عليها: إنني ملك مرسل من عند الله إليك؛ ليهب لك غلاماً طاهرًا من الآثام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[1]

١٠- غلام بدون زوج:

فتعجبت العذراء البتول ودهشت، فقالت لجبريل عليه السلام: كيف يكون لي غلام ولم يمسسني أحد من البشر ولم أكن يومًا سيئة السلوك؟ ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[2] فرد عليها جبريل عليه السلام إن هذا أمر ربك، وهو عليه هين وأن حكمته اقتضت أن يكون وليدك آية للبشر ورحمة من الله؛ ليهديهم به وإن هذا الأمر ليس موضعًا لشك لأنه قضاء الله وحكمه. ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[3].

١١- حمل جسدي وعبء نفسي:

حملت العذراء مريم عليها السلام؛ وبدأت تواجه آلامها الجسدية والنفسية، وتواجه المخاض الذي أجاها وهي بجوار جزع النخلة، واضطرها إلى الاستناد إليها وهي وحيدة بمفردها، لم تألف موقف كهذا من قبل. فهي تعاني حيرة العذراء عندما يأتيها أول مخاض ولا علم لها بهذا من قريب أو بعيد وليس معها من يعينها على ذلك، ويوضح لها ماذا تفعل فقالت: ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[4].

ويصعب هنا لأي فرد أن يتخيل أحوالها وملامحها في هذه الحالة ويحس باضطراب أحاسيسها وخواطرها، ويحس بآلامها وشجونها ومخاوفها، وهي تتمنى لو كانت نسيًا منسيًا، أي كانت شيئًا مهملاً لا يلتفت إليه أحد.

---

(١) سورة مريم، الآية ١٩.
(٢) سورة مريم، الآية ٢٠.
(٣) سورة مريم، الآية ٢١.
(٤) سورة مريم، من الآية ٢٣.

١٢- وليد يطمئن أمه !!!:

وأراد الله الرحمن الرحيم أن يطمئنها إلى سلامة موقفها ونبلها وشرفها. فأحدث لها مفاجأة فريدة في نوعها بطول التاريخ وبعرض الجغرافية... فقد ناداها وليدها المولود على التو من تحتها يطمئنها ويربطها بربها أكثر وأكثر، ويوجهها إلى طعامها وشرابها، ويعطيها حجتها وبرهانها على اكتمال شرفها وسلامة عذريتها. وهنا قال ﷻ: ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾[1].

١٣- فيوضات إلهية:

وحينئذ قال الطفل المبارك لأمه الطاهرة عليها السلام: لا تحزني يا أماه فالله لن ينساك ولن يتركك وحدك، بل إن الله القادر قد أجرى تحت قدميك جدولاً عذباً ساريًا تم تفجيره هذه اللحظة من ينبوع أو من سيل ماء في الجبل. ومنه يكون شرابك، أما طعامك فهو من هذه النخلة التي تستندين إليها، فهزيها فقط، ولا يحبطنك ضعفك الناتج من الولادة، إذ أن مجرد أخذك بالأسباب وهزك لجذع النخلة يكون رزق الله إليك فيتساقط عليك البلح رطبًا مجنيًا عند قدميك، ومن العجيب أن شجر النخيل لا يجنى مطلقًا بهزه بل بالتسلق إليه لكن ما حدث كان منحة من الله ﷻ للعذراء مريم ووليدها المبارك عليهما السلام .. فقط عليها الأخذ بالأسباب وهز جذع النخلة !!. ومن منح الله ﷻ لها أن الرطب الذي يسره الله لها هو أفضل طعام من الناحية الصحية للنفساء..!! ﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى ﴾[2] هنيئًا مريئًا ﴿ وَقَرِّى عَيْنًا ﴾[3] واطمئني ولتقر عينك.

١٤- صوم عن الكلام:

ولقد أوحى الله ﷻ إليها أنها إذا واجهت أحدًا من قومها فأخبريه بطريقة غير الكلام والنطق، أنك نذرت للرحمن صومًا عن الكلام ولن تكلمي أحدًا منهم اليوم، وأنك انقطعت لعبادة الله: ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[4] .

(١) سورة مريم، الآية ٢٤.
(٢) سورة مريم، من الآية ٢٦.
(٣) سورة مريم، من الآية ٢٦.
(٤) سورة مريم، من الآية ٢٦.

ولقد تجلت حكمة الله في ذلك إذ أنه ﷻ يعرف أن أحدًا لن يصدقها إن حملت من غير زوج وبذلك يكون الصوم عن الكلام عذرًا لها إذا سئلت ويكون ذلك مبررًا كافيًا ليرد وليدها عنها فيما بعد.

ولقد كان من عبادة بني إسرائيل أن من أراد الاجتهاد في العبادة أن يصوم وكان صومهم - حينئذ - هو الصوم عن الكلام، فلا يتكلم الصائم حتى المساء. وفي حالة مريم عليها السلام كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

١٥- دليل وبرهان:

وهنا أفاقت مريم البتول من ذهولها وحيرتها، واطمأنت إلى أن ربها ﷻ لن يتركها، وأن معها حجتها وبرهانها. فهذا الوليد موضع المشكلة سيكون هو الدليل والبرهان .. فهو وليد ينطق في المهد فيكشف عن المعجزة التي أجراها الله الخالق البارئ المصور لها. وتولى الرجل الصالح يوسف النجار مسئولية رعايتها وابنها عيسى عليهما السلام، فاصطحبهما إلى مكان قصي عبارة عن غار بالوادي فانتبذت فيه: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[1]، ومكثت بهذا المكان أربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم حملت وليدها إلى قومها. وفي الطريق قال لها الوليد عيسى عليه السلام: يا أماه أبشري ولا تحزني، فإنني عبد الله ومسيحه. وهنا أتت بعيسى عليه السلام إلى قومها تحمله. وذلك لعلمها ببراءة نفسها وطهارتها غير مكترثة بما يمكن أن يقال عنها أو يفعل معها. ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾[2].

١٦- أبقار تسجد !!!:

قلق قوم مريم عليها السلام وخافوا عليها، فخرجوا إلى الوادي في طلبها فلم يهتدوا إليها، فرأوا في طريقهم راعي بقر فسألوه: هل رأيت فتاة وصفها كذا وكذا؟ فقال لا لم أرها، لكنني رأيت الليلة السابقة من أبقاري ما لم أره قط في حياتي، فسألوه ماذا رأيت؟ قال: رأيت أبقاري تسجد نحو هذا الوادي، ورأيت نورًا ساطعًا يخرج منه، فتوجهوا إليه فاستقبلتهم مريم عليها السلام.

---

(١) سورة مريم، من الآية ٢٢.

(٢) سورة مريم، من الآية ٢٧.

١٧- دهشة مروعة!!:

وياله من مشهد مروع!! فلا يمكن تصور الدهشة والحيرة على وجوه قومها وهم يرون ابنتهم العذراء الطاهرة البتول والتي هي من أهل الصلاح والعفاف والشرف، الموهوبة للعبادة والمنقطعة لها، وهي تحمل وليدًا أنجبته دون زواج !!.

١٨- الله يحمي أمَتَه:

وحدث أن تسامع بذلك بنو إسرائيل، فاجتمع رجالهم ونساؤهم، فقامت امرأة منهم تحاول ضربها فأجف الله شطرها فحملت -المرأة اللائمة- في الحال. وقال رجل منهم ما أراها إلا زانية، فأخرسه الله ﷻ، فخاف الناس من ضربها أ و إيذائها بالفعل أو بالقول، فبدأوا يهدأون ويخفضون من نبرة حديثهم معها ويلينون لها القول فقالوا لها: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[1].

١٩- زرية بعضها من بعض:

أي أنهم نزهوا والدها من إتيان السوء، ونزهوا والدتها من البغي والعهر، وإن كانوا يتعجبون لما حدث منها. إذ كيف صدر هذا منها وهي من بيت طاهر معروف بالصلاح والتقوى ..؟ كيف تنشأين من والدين طاهرين وتفعلين هذا وتكوني على غير وصفهما؟ إذ أن الذرية في الغالب بعضها من بعض في الصلاح وفي الفساد.

٢٠- وليد يتكلم في المهد !!!:

وأشارت مريم عليها السلام إلى وليدها تقصد أن تقول لهم كلموه هو: وهنا تعجب القوم ظانين أنها تزدري بهم وتسخر منهم وتلعب بهم، إذ كيف يكلمون وليدًا رضيعا؟! إذ لم يحدث ذلك من قبل وقالوا: ﴿ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ

---

(١) سورة مريم، الآية ٢٨.

صَبِيًّا ﴾[1] وهنا قال نبي الله عيسى عليه السلام وهو في المهد صبي: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[2] وبذلك برأ أمه مما نُسب إليها من الفاحشة.

٢١- وليد يُعرِّف بنفسه:

وعَرَّف الوليد عليه السلام نفسه لهؤلاء القوم بأنه عبد الله، وأنه ليس كما سيقال فيما بعد أنه الإله أو ابن الإله .. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. وعرف نفسه كذلك من بين حيثياته أن الله عز وجل آتاه كتابًا مقدسًا هو الإنجيل وهو نبي من أنبياء الله عز وجل وهذا قمة كماله، وهو مع كل ذلك مبارك ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾[3] أي أنه إنسان مبارك في أي وقت أو أي مكان يحل فيه، وهذا من تعليمه للخير والدعوة إليه والنهي عن الشر والدعوة إلى عبادة الله وحده في الأقوال وفي الأفعال، فيسعد به كل من يراه أو يتعامل معه أو يصاحبه، وأوضح عليه السلام أهمية الصلاة والزكاة بقوله: ﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[4].

٢٢- الوليد يوصي نفسه وقومه:

أي أوصى نفسه وقومه بالقيام بحقوق الله وأعظمها الصلاة وحقوق العباد ومن أفضلها الزكاة طوال العمر. وأوضح أن الله أوصاه بوالدته خيرًا فيحسن إليها أفضل الإحسان ويقوم بخدمتها إجلالاً لشرفها، ولفضلها عليه: ﴿ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾[5] . أي لم يجعلني متكبراً على أي من العباد فأشقى في حياتي.

٢٣- سلام عليه:

وسلام الله عليَّ في يوم ولادتي، ويوم مماتي، ويوم خروجي حيًا من قبري يوم بعثي: ﴿ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[6].

(١) سورة مريم، من الآية ٢٩.
(٢) سورة مريم، الآية ٣٠.
(٣) سورة مريم، من الآية ٣١.
(٤) سورة مريم، من الآية ٣١.
(٥) سورة مريم، الآية ٣٢.
(٦) سورة مريم، الآية ٣٣.

هذا ما نطق به نبي الله وهو في المهد رضيعًا؛ وبذلك أعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، فهو ليس إله أو ابن إله كما يزعم النصارى، كما أنه ليس ابن زنى كما يدّعى اليهود ومن ثم جاء التعقيب النهائي والخلاصة الصادقة. وذلك في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[1].

تفسير رسول الله ﷺ

والآن وقبل البحث عن المفهوم الحقيقي لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾[2] ينبغي أولاً التعرف على تفسير ورؤية رسول الله ﷺ لعلها تحسم الجدل الدائر، أو على الأقل يمكن الاسترشاد ببعض أقواله أو أحاديثه الشريفة ﷺ في الموضوع أو أي موضوع آخر ونكون على علاقة به لنصل إلى المغزى الحقيقي في هذا الموضوع.

وللوقوف على تفسير رسول الله محمد ﷺ في قول قوم مريم عليها السلام: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ يتعين ذكر ما روى عن المغيرة بن شعبة إذ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا له: أرأيت ما تقرءون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى عليهما السلام بكذا وكذا؟ قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: (ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم)[3].

وقد يستدل من هذا الحديث الشريف على ما يلي:

أ- قد يدل الحديث الشريف السابق ذكره أن الرسول محمد ﷺ يرى أن المقصود بهارون في قول بني إسرائيل: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ هو هارون أخو موسى عليهما السلام لكن ليس معنى ذلك أن مريم عليها السلام أم المسيح عليه السلام هي أخت هارون النبي عليه السلام، أي ابنة أبيه وأمه، وإنما هي سميت باسمه فقط فقيل لها ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾.

(١) سورة مريم، من الآية ٣٤.

(٢) سورة مريم، من الآية ٢٨.

(٣) ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، مكتبة الثقافة الدينية، العتبة، القاهرة، ص ١٢٠.

ب- كذلك قد يفهم من قول الرسول الكريم ﷺ إن هارون هذا قد يكون رجلًا من الصالحين ونسبت مريم إليه لصلاحها وتقواها وكان ذلك على سبيل التوبيخ لها.

جـ- إن هارون عليه السلام ليس أخًا شقيقًا لمريم عليها السلام.

رأي السيدة عائشة رضي الله عنها:

وقد روى أن محمد بن سيرين روى عن كعب أنه قال إن المقصود بهارون في قول بين إسرائيل: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ ، ليس هارون أخا موسى عليهما السلام، فقالت له أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: كذبت. فقال لها يا أم المؤمنين إن كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر، وإلا فإنني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت[1].

وفي تصوري أن سكوت السيدة عائشة -رضي الله عنها- في هذا الموقف يعني أنها كانت متأكدة من أن المقصود في الآية الكريمة هو هارون عليه السلام لكنها لم تستطع تفسير الأمر على أن هارون عليه السلام أخ شقيق لمريم عليها السلام على أساس أن بين مريم أم عيسى عليهما السلام وهارون النبي عليه السلام دهورًا طويلة فلاذت بالصمت ولم يكن ينبغي لها غير ذلك، إذ أنها زوج الرسول الكريم ﷺ وأم المؤمنين ولا يمكن لها أن تقول ما لا تعلم، وترك تفسير ذلك لرسول الله ﷺ. وهذا يؤكد صدق كل ما يروى عنها وعن الرسول ﷺ.

محتوى كتب التفسير

والآن لعله من الملائم البحث في كتب التفسير المختلفة عن المقصود بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾. لعل ذلك يلقي الضوء على هذا الموضوع، أو ربما وجد بهذه التفاسير ما يمكن الاسترشاد به للوصول إلى الحقيقة في هذا الموضوع.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص ١٢٠.

ونقسم كتب التفسير المستخدمة في هذا المؤلف إلى قسمين أولهما تقسيم كتب التفسير من حيث طبيعة منهج التفسير إلى ثلاثة أنواع من التفاسير هي:

النوع الأول يتمثل في كتب التفسير بالرأي وتسمى كتب التفسير بالمعقول أو التفسير بالتأويل أو التفسير بالدراية.

والنوع الثاني: يتمثل في كتب التفسير بالمأثور أو التفسير بالمنقول أو التفسير بالتنزيل أو التفسير بالرواية.

والنوع الثالث ويتمثل في التفسير الجامع أي التفسير المختلط الذي يجمع بين نوعي التفسيرين السابقين.

كذلك قسمت كتب التفسير المستخدمة في هذا المؤلف وفقًا للتاريخ إلى نوعين هما تفاسير المفسرين الأوائل وتفاسير المفسرين المتأخرين. وفيما يلي استعراض المحتوى العلمي لكتب التفسير حول قوله ﷻ: ﴿ يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ باستخدام التقسيمين السابقين.

أولاً: كتب التفسير بالمأثور:

وهي التفاسير التي تفسر القرآن الكريم بما جاء بالقرآن الكريم و/ أو السنة الشريفة و/ أو ما روي عن صحابة رسول الله ﷺ الأبرار و/ أو التابعين الكرام الذين عاصروا هؤلاء الصحابة. وتسمى هذه التفاسير كذلك بالتفاسير بالمنقول أو التفاسير بالرواية لاعتمادها على ما روي عن رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين الأبرار. وفيما يلي استعراض لمحتوى بعض هذه التفاسير المتعلقة بالموضوع وفقًا لتاريخها:

أ- التفاسير بالمأثور للمفسرين الأوائل:

وفيما يلي استعراض للمحتوى العلمي لكتب التفسير بالمأثور الخاصة بالمفسرين الأوائل حول المقصود بقوله ﷻ: ﴿ يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾.

١- تفسير ابن عباس ﷺ[1]:

ويفسر تفسير هذا الصحابي الجليل المقصود بهارون في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ أن هارون هذا كان رجلاً صالحاً من أمثل الناس، لذا فهم يقصدون أن يقولوا لها (يا شبيهة هارون الرجل الصالح في العبادة) كذلك يذهب نفس التفسير إلى أنه يقال إنه كان في زمان العذراء مريم عليها السلام رجلاً طالحًا يسمى هارون وكان رجل سوء فشبهوها به لاعتقادهم بأنها فعلت سوءًا. كذلك يذهب التفسير إلى أن المقصود بهارون هذا أخاها من أبيها وفق ما اعتقد البعض.

٢- تفسير الطبري[2]:

ويسمى هذا التفسير «عمدة التفاسير» .. ولقد ذكر هذا التفسير عدة أقوال منها ما سبق ذكره عن رسول الله ﷺ وعن السيدة عائشة -رضي الله عنها-، كذلك يذكر هذا التفسير عدة أقوال نوردها على النحو التالي:

١- قيل لها ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ نسبة منهم إلى الصلاح، لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هارون.

٢- وقيل كان هارون رجلاً صالحًا في بني إسرائيل فشبهوها به فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح، إذ كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحًا محببًا في عشيرته، وليس بهارون أخا موسى عليه السلام، ولكنه هارون آخر. وذكر أن هارون هذا شيع جنازته يوم مات أربعون ألفًا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل.

---

(١) الفيروزابادي (أبو طاهر بن يعقوب الفيروزابادي) تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، توزيع المكتبة التجارية، المروة، مكة المكرمة.

(٢) الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري) ، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٣- قال البعض يقصد بهارون هذا هارون أخو موسى عليهما السلام ونسبت مريم عليها السلام إلى أنها أخته لأنها من ولده كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمُضري: يا أخا مضر.

٤- قيل كانت من بني هارون أخي موسى عليه السلام، وهو كما تقول يا أخا بني فلان.

٥- قيل كان هارون هذا رجلاً فاسقًا معلن الفسق فنسبوها إليه لاعتقادهم بسوء صنيعها.

٣- تفسير ابن كثير[١]:

ويتضمن تفسير ابن كثير ثلاثة احتمالات:

أولها: أن المقصود بهارون في قول مريم عليها السلام: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ هو هارون أخو موسى عليهما السلام لأنها كانت من نسله، فقيل لها يا أخت هارون كما يقال للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر.

وثاني هذه الاحتمالات: أن العذراء مريم عليها السلام نسبت إلى رجل صالح من قومها اسمه هارون فشبهوها به في العبادة والزهادة والقول هنا توبيخ لها ويقصد به يا من كنت مثل هارون في الصلاح كيف يأتي منك هذا الفعل المشين؟ ... ويقصدون بذلك ولادتها بدون زوج لأنهم كانوا يظنون خطأ أنها زنت.

وثالث هذه الاحتمالات: أنها نسبت لرجل من بني إسرائيل كان طالحا يأتي بالفواحش والزنا لذلك شبهوها به لاعتقادهم الخاطئ بأنها زنت.

كذلك نفى تفسير ابن كثير نفيًا قاطعًا بأن تكون مريم عليها السلام هي أخت هارون النبي عليه السلام وحجته في ذلك أن بين عيسى بن مريم -عليهما السلام- وبين نبي الله هاورن عليه السلام حوالي ألف عام ودليله على ذلك هو الحديث الشريف الذي روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ والثابت في صحيح البخاري أنه قال: (أنا

(١) ابن كثير (إسماعين بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، الجزء الثالث.

أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي) معنى هذا أن النبي محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وهو الذي جاء بعد عيسى عليه السلام وليس بينهم نبي آخر. وبذلك يستحيل أن يكون عيسى عليه السلام قد جاء في زمن موسى وهارون عليهما السلام لأنه من الثابت في القرآن الكريم أن داود وسليمان عليهما السلام قد جاءا بعد موسى عليه السلام وذلك في قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [1] وذكر القصة إلى أن قال ﷻ: ﴿ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ ﴾[2].

فإذا كان عيسى بن مريم عليه السلام قد جاء في زمن نبي الله موسى كان معنى ذلك أن داود وسليمان عليهما السلام قد جاءا بعده وقبل الرسول محمد ﷺ وهذا مخالف للحديث الشريف السابق ذكره.

كذلك أوضح هذا التفسير سبب حدوث الخطأ في اعتقاد البعض بأن مريم أم المسيح عليهما السلام هي مريم أخت موسى وهارون عليهما السلام هو ما ورد في التوراة من أن مريم ابنة عمران (وكان يقصد بها مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام وليست مريم ابنة عمران أم عيسى عليه السلام) كانت تضرب بالدف وكان النساء معها يسبحن الله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل من نصر، فرحًا بنجاة موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق وغرق فرعون في اليم وذلك عقب حدوث المعجزة مباشرة، فاعتقد البعض أن هذه هي أم عيسى عليه السلام وهذا خطأ كبير ومستحيل تصوره، وأن الصحيح أن العذراء مريم ابنة عمران أم المسيح عليهما السلام قد سميت باسم مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام. وكانت هذه عادة لديهم إذ كانوا يسمون أولادهم بأسماء أنبيائهم وصالحيهم، وقد ورد هذا بالتفصيل عند الحديث عن تفسير الرسول محمد ﷺ لقول بني إسرائيل للعذراء مريم عليها السلام: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ .

---

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٤٦.

(٢) سورة البقرة، من الآية ٢٥١.

٤- تفسير البغوي[١]:

وينص هذا التفسير على أن المقصود بـ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ هو يا شبيهة هارون، فقد كان هارون رجلاً صالحًا عابدًا في بني إسرائيل. روى أنه اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفًا كل منهم كان يسمى (هارون) من بني إسرائيل سوى سائر الناس. أي أنهم شبهوها به على معنى أنا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الأخوة في النسب، مثال ذلك ما قاله الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [٢] أي أشباههم.

٥- تفسير ابن أبي حاتم[٣]:

وهذا التفسير يتضمن عدة أقوال هي: إن المقصود بهارون هارون أخو موسى عليهما السلام والمراد: يا من كنا نظنها مثل هارون في العبادة .. كيف تأتين بمثل هذا؟! وقيل كانت مريم من ولد هارون أخي موسى عليهما السلام، فنسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده، كما يقال للعربي يا أخا العرب. وقيل كان لها أخ من أبيها اسمه هارون وكان أمثل رجل في بني إسرائيل وهناك قول رابع هو أن هارون كان رجلًا فاجرًا في ذلك الزمان فنسبوها إليه على جهة التعيير والتوبيخ، لما رأوها حاملاً. وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمهم هارون، فكانت تقاس به في العبادة والزهد.

وهناك رأي آخر غريب هو أن مريم العذراء -عليها السلام- هي أخت هارون لأبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هارون عليهما السلام التي قصت أثر موسى عندما ألقي في اليم وهذا القول خطأ محض، وذكر التفسير في ذلك مثل ما ذكر في تفسير ابن كثير لتفنيذ هذا الرأي. كذلك ذكر التفسير واقعة أهل نجران ورد الرسول الكريم

---

(١) البغوي (أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي) معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٢) سورة الإسراء، من الآية ٢٧.

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

ﷺ على ذلك وكذلك رد السيدة عائشة -رضي الله عنها- عندما سئلت عن ذلك على نحو ما ورد في تفسير الرسول الكريم ﷺ سابقًا.

٦- تفسير السيوطي[١]:

ويتضمن هذا التفسير أن هارون الذي نسبت إليه العذراء مريم عليها السلام كان رجلا صالحًا من بني إسرائيل فنسبت إليه لصلاحها وأن هارون كان اسمًا منتشرًا جدًا في بني إسرائيل حتى إن هارون الصالح هذا عندما مات اتبع جنازته أربعون ألفًا من بني إسرائيل كل منهم كان يسمى هارون.

كذلك ذكر هذا التفسير ما سبق ذكره من أن السيدة عائشة -رضي الله عنها- قالت إن المقصود بهارون هذا هارون أخو موسى عليهما السلام.

وقيل كذلك في هذا التفسير إن مريم العذراء عليها السلام نسبت إلى هارون بن عمران عليه السلام لأنها كانت من سِبْطِه.

وقيل كذلك إن هارون المقصود هو رجل من قوم سوء وزناة فنسبوها إليه لاعتقادهم الخاطئ عنها بعد أن أتت بوليدها.

ب- التفاسير بالمأثور للمفسرين المتأخرين:

وبالنسبة للمفسرين المتأخرين فأغلبهم لم يكتف بتناول تفسير الآيات الكريمة باستخدام المحتوى العلمي للقرآن الكريم والسنة الشريفة وآراء الصحابة والتابعين فقط، بل ضمنوا تفاسيرهم آراءهم الشخصية وبعض آراء المفسرين الآخرين أيضًا ومن ثم لا يمكن تصنيف تفاسيرهم على أنها تفسير بالمأثور فقط إنما هي تفاسير جامعة وهذا هو حال غالبية التفاسير الحديثة وستتحدث عن المحتوى العلمي لهذه التفاسير حول موضوع الدراسة فيما بعد.

---

(١) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م.

كذلك يمكن للقارئ الاطلاع على كتب التفسير بالمأثور التالية والتي انحصرت تفاسيرها فيما حوته كتب التفاسير السابقة وهي:

أ- تفسير أبو السعود[1].

ب- تفسير أبي الأندلسي[2].

ج- تفسير الجمل[3].

د- تفسير البيضاوي[4].

هـ- تفسير الشهاب[5].

و- تفسير البرسوي[6].

ز- تفسير الغرناطي[7].

ح- تفسير ملاك التأويل[8].

ط- تفسير التوحيدي[9].

---

(١) أبو السعود (محمد العمادي)، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٢) أبي الأندلسي (الغرناطي الحياني)، تفسير البحر المحيط، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، عام ١٩٦٨م.

(٣) الجمل (عمر العجيلي الشافعي)، تفسير الفتوحات الإلهية، بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، عيسى البابي الحلبي، مصر.

(٤) البيضاوي (محمود محمد بن عمر)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة الإسلامية، محمد ازدمير، ديار بكر، تركيا.

(٥) الشهاب (البغدادي)، تفسير حاشية الشهاب (عناية وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، المكتبة الإسلامية محمد ازمير، ديار بكر تركيا.

(٦) البرسوي (إسماعيل حقي)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٧) الغرناطي (أبي محمد عبد الحق بن عطية)، تفسير المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق أحمد صادق الملاح، د. عبد السلام عبد الشافي، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى، عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٨) محمود كامل أحمد (تحقيق)، تفسير ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، دار النهضة، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٩) التوحيدي (أبي حيان)، تفسير النهر الماد «ضمن البحر المحيط»، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، عام ١٩٦٨م.

ي- التفسير الميسر[1].

ثانيًا: كتب التفسير بالرأي:

وهي التفاسير التي تفسر آيات القرآن الكريم بإبداء المفسر رأيه الناتج من إعمال عقله وفكره الخاص النابع من وجدانه وقناعاته ودرايته بالإسلام وعلوم القرآن. ويمكن للمفسر الاستعانة بآراء المفسرين السابقين عليه أو المعاصرين له. وفي هذا النوع من التفاسير تتاح الفرصة للمفسر للاستفادة من الكشوفات العلمية الحديثة في شتى العلوم في فهم الآيات والحكم الإلهية في الكون وكذا محاولة فهم وتفسير الملابسات والظروف الجديدة التي لم تكن موجودة في العصور الأولى للإسلام.

وفيما يلي استعراضنا لمحتوى بعض هذه التفاسير المتعلقة بالموضوع وفقًا لتاريخها.

أ- التفاسير بالرأي للمفسرون الأوائل:

وفيما يلي استعراضنا للمحتوى العلمي لبعض التفاسير بالرأي الخاصة بالمفسرون الأوائل حول قوله ﷻ ﴿يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ﴾:

أ- تفسير الجليلين (الجلالين)[2]:

وينص هذا التفسير على أن المراد بهارون في قوله ﷻ: ﴿يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ هو رجل صالح من بني إسرائيل فشبهوها به لصلاحها وتقواها المعروف عنها. أي أن قولهم لها ﴿يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ معناها يا شبيهة هارون في العبادة.

---

(١) وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعو والإرشاد، التفسير الميسر، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، المملكة العربية السعودية.

(٢) المحلى (جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد)، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تفسير الجليلين (الجلالين) (مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، الباب الأخضر، الحسين، القاهرة.

٢- تفسير القرطبي[١]:

ويميل هذا التفسير إلى الفقه المالكي ولا يتضمن أي شيء بخصوص هذا الموضوع. فقد أغفل تمامًا أي محاولة للتعرف على شخص هارون الوارد في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وشرح إجمالاً معنى قوله ﷻ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ وذلك بقوله: إن قوم مريم عليها السلام مدحوا أباها، ونفوا عن أمها البغاء أي الزنى، وعرضوا لمريم بذلك.

٣- تفسير الرازي[٢]:

ويتضمن هذا التفسير أربعة احتمالات لتحديد شخصية هارون في قوله ﷻ ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ والاحتمال الأول: هو أن قوم العذراء مريم عليها السلام شبهوها برجل صالح من بني إسرائيل يسمى هارون وأن بني إسرائيل اعتادت أن تسمي غالبية أبناءها بهارون تبركًا بهذا الرجل الصالح ويقال إن أربعين ألفا شيعوا جنازة هارون الرجل الصالح هذا كلهم اسمهم هاورن. وعلى ذلك فإن قولهم يا أخت هارون وإن كان نسبها إلى رجل صالح إلا أن ظاهره التوبيخ على ما اعتقدوا خطأ من أنها فعلت فعل سوء.

والاحتمال الثاني: أن المراد بهارون هو أخو موسى عليهما السلام لأن مريم عليها السلام كانت من أعقابه.

والاحتمال الثالث: هو أن هارون كان رجلاً فاسقًا معروفًا بالزنا والسوء من بني إسرائيل فشبهوها به لما اعتقدوا خطأ أنها أتت بسوء.

والاحتمال الرابع: هو أن هارون هذا كان أخًا لمريم عليها السلام وكان من صلحاء بني إسرائيل فعيرت به على أساس أنها فعلت ما لا يتناسب مع سمعة أخيها

(١) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) تفسير الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الحادي عشر، الطبعة الثانية، عام ٦٥/ ١٩٩٦م.

(٢) الرازي (فخر الدين)، التفسير الكبير، (المعروف بمفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

وصيته الطيب. وهذا هو الأقرب من وجهة نظر المفسر على أساس أن الأصل في الكلام هو معناه المباشر، وبذلك يكون ظاهر الآية محمولاً على حقيقتها.

٤- تفسير الزمخشري[١]:

ويقترح هذا التفسير أربعة آراء حوال ماهية شخصية هارون في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾.

أول هذه الآراء: هو أن هارون هذا كان أخاها من أبيها وكان من أمثل بني إسرائيل. وثاني هذه الآراء: هو هارون أخو موسى عليهما السلام، وكانت من أعقابه، ويقال كانت من أولاده، وثالث هذه الآراء: أن هارون هذا كان رجلاً صالحًا فشبهوها به وأن بني إسرائيل كانوا يسمون كثيرًا من أولادهم على اسمه ويقال إن هارون هذا اتبع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمون هارون كما جاء في بعض التفاسير السابقة. ولم يقصد أخوة النسب. والرأي الرابع والأخير: هو أن هارون هذا كان رجلاً طالحًا زانيًا من بني إسرائيل فشبهوها به.

ب- التفاسير بالرأي للمفسرين المتأخرين:

وكما سبق القول يهتم المفسرون المتأخرون بأن تشتمل تفاسيرهم للقرآن الكريم على التفسير بالمأثور بجانب التفسير بالرأي ومن ثم فإن غالبية تفاسيرهم تفاسير مختلطة، جامعة وقليل جدًا من التفاسير الحديثة هي تفاسير بالرأي فقط. وفيما يلي تناول آراء بعض كتب التفسير بالرأي للمفسرين المتأخرين حول قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾.

١- تفسير سيد قطب[٢]:

ويذكر هذا التفسير أن المقصود بهارون هو هارون أخو موسى عليهما السلام وأن هارون هذا هو الذي تولى المحراب هو وذريته من بعده والذي نسبت إليه

---

(١) الزمخشري (أبي القاسم جار الله محمد بن عمر)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار عالم المعرفة.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الثالثة عشر، عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

العذراء مريم -عليها السلام- بعبادتها وانقطاعها لخدمة المحراب؛ لذا فقد كان قومها يقصدون القول للمفارقة بين تلك النسبة التي تنتسبين إليها، وذلك الفعل الذي تقارفينه.

٢- تفسير المراغي[١]:

ويوضح هذا التفسير أن هناك رأي يقول إن المراد بهارون هو هارون أخو موسى عليهما السلام والمقصود يا من أنت من نسل هارون أخي موسى كما يقال للتميمي يا أخا تميم أو للمضري يا أخا مضر. أو ربما المقصود يا من أنت شبيهة الرجل الصالح المسمى هارون من بني إسرائيل والأخت هنا على هذا بمعنى المشابهة، وشبهوها تهكماً، أو لما رأوا من قبل صلاحها وتأسيها به في العبادة. كذلك ذكر التفسير رواية أهل نجران التي وردت في السابق عند الحديث عن رأي رسول الله محمد ﷺ.

٣- تفسير رشيد رضا[٢]:

ويوضح هذا التفسير أنه إما أن يكون المقصود بهارون هو هارون أخو موسى عليهما السلام والأخوة المذكور ليست أخوة النسب وإنما هي أخوة مجازية، فمعنى يا أخت هارون أنها من نسله وذريته كما يقال للقرشي يا أخا قريش. فمعنى قولهم: يا اخت هارون، أي يا من أنت من ذرية ذلك النبي الصالح، كيف فعلت هذه الفعلة؟ وحتى لو لم تكن من نسله وذريته فإنها تنتسب إليها بخدمتها للهيكل وانقطاعها للعبادة فيه. فقد كانت خدمة المحراب موقوفة على ذرية هارون عليه السلام. وعلى ذلك فمعنى: يا أخت هارون أي يا من تنتسبين إلى هذا النبي الصالح بالخدمة والعبادة والانقطاع للهيكل.

---

(١) المراغي (أحمد مصطفى)، تفسير المراغي، الجزء السادس عشر، الطبعة الأولى، عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٢) رشيد رضا (محمد رشيد رضا)، تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، طباعة دار المنار بالقاهرة، الناشر، دار المعرفة، الطبعة الثانية عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، النشر عام ١٩٧٣م.

كذلك أوضح نفس التفسير أنه يجوز أن يكون المراد بهارون في الآية رجلاً صالحًا من قومها في ذلك الحين كانت تتأسى به مريم عليها السلام وتتشبه به في الزهد والطاعة والعبادة فنسبت إليه، فقالوا لها يا من تتشبهين وتقتدين بذلك الرجل الصالح، ما كان أبوك بالفاجر ولا أمك بالبغي فمن أين لك هذا الولد؟.

كذلك روى التفسير واقعة أهل نجران كما سبق ذكرها عند الحديث عن رأي رسول الله ﷺ وأضاف التفسير أنه ربما يفهم من التفسير النبوي أن هارون المذكور في الآية ليس من اللازم أن يكون هو أخا موسى عليهما السلام كما فهم أهل نجران، وإنما هو هارون معاصر لمريم العذراء إذ أن قومها كانوا يسمون بأسماء الأنبياء والصالحين منهم.

كذلك يمكن للقارئ الاطلاع على كثير من كتب التفسير بالرأي ليحصل في النهاية على نفس المحتوى العلمي للتفاسير السابق ذكرها. ومن هذه التفاسير على سبيل المثال تفسير الشنقيطي[1]

ثالثًا: كتب التفسير الجامعة:

وهذه الكتب يجمع فيها المفسرون بين كلا من التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، وبالتالي فهي أكثر شمولية وأكثر اكتمالاً وفائدة، وفيما يلي استعراضٌ لمحتوى بعض هذه التفاسير المتعلقة بموضوع الدراسة وفقًا لتاريخها:

أ - التفاسير الجامعة للمفسرين الأوائل:

وفيما يلي تناول المحتوى العلمي لبعض التفاسير الجامعة للمفسرين الأوائل حول قوله ﷻ: ﴿ يَتَأَخَّتَ هَٰرُونَ ﴾.

---

(١) الشنقيطي (محمد الأمين محمد المختار الجكني)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

١- تفسير الألوسي[١]:

يوضح هذا التفسير بأن قول قوم مريم عليها السلام لها ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ هو استئناف لتجديد التعبير وتأكيد التوبيخ. كذلك أوضح هذا التفسير عدة آراء أولها: أن هارون هذا ليس المراد به هارون أخو موسى بن عمران عليهما السلام.

وثانيها: ذكر ما كان من حديث أهل نجران السابق إيضاحه موضحًا قول الرسول الكريم ﷺ من أن القوم كان يسمون بأسماء أنبيائهم. وثالثها: القول بأن هارون هذا كان رجلاً صالحًا من بني إسرائيل وكان بني إسرائيل يسمون أولادهم في الغالب باسم هارون هذا تيمنا باسمه. وأن هارون هذا عندما مات اتبع جنازته أربعون ألف شخص كلهم يسمون هارون. وكان القصد من القول هو (يا شبيهة هارون في الصلاح) توبيخًا لها. ورابعها: القول بأن هارون هذا كان رجلاً طالحًا فاسدًا زانياً فشبهوها به.

وقيل كذلك في نفس التفسير إن مريم -عليها السلام- كانت من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام وأنه هو المقصود بقول بني إسرائيل.

٢- تفسير الشوكاني[٢]:

ويوضح هذا التفسير عدة آراء أيضًا فيقول إن المقصود هو هارون أخا موسى عليهما السلام وأن المقصود بقولهم ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ هو يا من كنتِ نظنها مثل هارون في العبادة كيف تأتي بمثل هذا؟!!

وقيل كانت من ولد هارون أخي موسى عليهما السلام .

---

(١) الألوسي (أبي الفضل شهاب الدين محمود الدين محمود الألوسي البغدادي)، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الشوكاني (محمد بن علي الشوكاني) تفسير فتح القدير والجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية، عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٣٤م.

وقيل كان لها أخ من أبيها اسمه هارون.

وقيل كان هارون رجلًا صالحًا من بني إسرائيل فشبهوها به لصلاحها والمقصود التأنيب.

وقيل كان هارون رجلًا فاسدًا من بني إسرائيل فشبهوها به لاعتقادهم الخاطئ بأنها قد أتت بفاحشة.

٣- تفسير الماوردي[١]:

ويرد في هذا التفسير أربعة آراء أولها: أن هارون المقصود هو هارون أخو موسى عليهما السلام لأنها كانت من سلالته وثانيها: أن هارون هذا كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل فشبهت به وثالثها: أن هارون كان رجلا طالحًا من بني إسرائيل فشبهت به وقيل إن هارون هذا كان أخ لها من أبيها.

٤- تفسير السعدي[٢]:

ويرى هذا التفسير أن الظاهر في قول قوم مريم عليها السلام لها ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ هو أن هارون هذا أخ لها حقيقي، فنسبوها إليه، وكانوا يسمون بأسماء الأنبياء وليس هو هارون بني عمران أخا موسى عليهما السلام، لأن بينهما قرونًا كثيرة.

٥- تفسير ابن أبي زمنين[٣]:

ويرى هذا التفسير أن هارون المقصود ليس بهارون أخا موسى ولكنه هارون آخر كان يسمى هارون الصالح المحبب في عشيرته والمعنى يا شبيهة هارون في عبادته وفضله.

---

(١) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي)، تفسير النكت والعيون، راجعه السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله)، تفسير الكريم المنان في تفسير الرحمن.

(٣) ابن أبي زمنين (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري)، تفسير القرآن العزيز (وهو مختصر تفسير يحيي بن سلام)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية.

وفيما يلي نتناول المحتوى العلمي لبعض التفاسير الجامعة للمفسرين المتأخرين حول قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾.

١- تفسير الصابوني[١]:

ويرد في هذا التفسير ان هارون كان رجلاً صالحًا في بني إسرائيل مشهورًا بالصلاح فشبهوها به وليس بهارون أخا موسى عليهما السلام لأن بينهما ما يزيد على ألف عام وأن هارون رجل من عبَّاد بني إسرائيل المجتهدين كانت مريم تشبهه في اجتهادها وليس هارون أخا موسى بن عمران عليهما السلام فإن بينهما دهرًا طويلاً.

٢- تفسير الشعراوي[٢]:

ويرد في هذا التفسير أن قومها نسبوها إلى رجل يسمى هارون كان قد سمي على اسم النبي هارون عليه السلام وكانوا يقصدون أن يقولوا لها أنت من بيت صلاح ونشأت في طاعة الله فكيف يصدر منك هذا الفعل. كما ترى سيدة محجبة يصدر منها في الشارع عملا لا يتناسب مع مظهرها فتلومها على هذا السلوك الذي لا يتصور من مثلها.

٣- التفسير الميسر[٣]:

ويرد في هذا التفسير أن المعنى يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البغاء.

---

(١) الصابوني (محمد علي الصابوني)، صفوة التفاسير، سورة الكهف، ومريم، وطه، مجلد (٨)، مطبعة الغزالي، دمشق وبيروت.

(٢) الشعراوي (محمد متولي)، خواطر الشعراوي، المجلد الخامس عشر، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة.

(٣) وزارة الشئون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، التفسير الميسر، إشراف عبدالله بن عبد المحسن التركي، المملكة العربية السعودية.

٤- تفسير طنطاوي[١]:

ويرد في هذا التفسير أنه ليس المراد بهارون هارون ابن عمران أخو موسى عليهما السلام إنما هارون هذا كان رجلاً صالحًا من بني إسرائيل فشبهت به لصلاحها ويقال إنه كان له أخ يسمى هارون فنسبت إليه كما أورد التفسير حديث أهل نجران مع النبي محمد ﷺ السابق الإشارة إليه.

ويمكن للقارئ كذلك الاطلاع على كتب التفسير الجامعة التالية والتي لا تتضمن أكثر مما احتوت عليه كتب التفاسير السابقة وهي:

أ- تفسير ابن عاشور[٢].
ب- تفسير الكلبي[٣].
جـ- تفسير الخازن[٤].
د- تفسير الغرناطي[٥].
هـ- تفسير السعدي[٦].

خلاصة محتوى كتب التفسير:

ويكن إيجاز محتوى كتب التفسير السابق تناولها بالدراسة فيما يتعلق بشخص هارون في قوله ﷻ: ﴿يَتَأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ في التفسيرات التالية:

---

(١) طنطاوي (محمد سيد طنطاوي)، التفسير الوسيط، مطبعة السعادة، عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٨٨م.
(٢) ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، طبعة دار سحنون للنشر، تونس، عام ١٩٨٣.
(٣) الكلبي (محمد بن أحمد بن جزي)، تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، دال الكتاب العربي، بيروت، طبعة دار السعادة.
(٤) الخازن (علاء الدين علي محمد بن إبراهيم البغدادي)، لباب التأويل.
(٥) الغرناطي (ابن محمد عبد الحق بن عطية)، تفسير المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق أحمد صادق الملاح، د. عبد السلام عبد الشافي، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى، عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣.
(٦) السعدي (عبد الرحمن بن ناصر)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١ - إن المقصود بهارون في الآية الكريمة هو نبي الله هارون عليه السلام، وهذا التفسير يتجه إلى ثلاثة اتجاهات هي:

أ - إن قول قوم مريم عليها السلام لها: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ يقصد به يا من كنت مثل نبي الله هارون عليه السلام في الصلاح والتقوى والعفة .. كيف تفعلين ذلك؟

ب- إن القول لمريم عليها السلام ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ سببه أن مريم عليها السلام كانت من سلالة نبي الله هارون عليه السلام ومن ثم انتسبت إليه مثلما يقال للقرشي يا أخا قريش.

جـ- إن القول لمريم عليها السلام ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ كان سببه أنها نشأت مع سلالة نبي الله هارون وخدمت معهم في المحراب.

٢ - إن المقصود بهارون في الآية الكريمة هو أخ لها من أبيها وكان أمثل رجل في بني إسرائيل فشبتهت به والقول هنا يحمل معنى التوبيخ والمقصود يا من أنت أخت هارون النقي كيف تفعلين هذا؟

٣- إن المقصود بهارون في الآية الكريمة هو رجل صالح كان يعيش في زمانها مشهود له بالعفة والشرف والتقوى وكانت العذراء مريم تشبهه في صلاحه.

٤ - إن المقصود بهارون في نفس الآية الكريمة هو رجل طالح كان يعيش في زمانها ومشهود له بالفسق والفجور فشبهوها به.

كذلك تضمنت بعض كتب التفسير حديث أهل نجران ورأي رسول الله ﷺ وأم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها السابق ذكرهما.

كذلك فهناك بعض كتب التفسير لم تتطرق إلى هذه الإشكالية وتجاهلتها تمامًا وبعضها مر عليها مرورًا عابرًا دون بذل أي محاولة لتفسير الأمر.

ويلاحظ أن جميع كتب التفسير السابق دراستها أوردت بعض الاحتمالات التي تفسر الأمر دون القيام بأي محاولة لإثبات صحة أي من هذه الاحتمالات. فقط ذكرت رأي كاتبها أو رأي منقول عن كتب تفسير أخرى.

خطأ علمي:

ولقد وقعت بعض التفاسير في خطأ علمي عندما حاولت أن ترفع الحرج الذي تصورته عن القرآن الكريم على أساس أن من قال " يا أخت هارون .." ليس القرآن الكريم إنما هم قوم مريم العذراء -عليها السلام-، ومن ثم إن كان ثمة خطأ في القول فمرده إلى قوم مريم -عليها السلام-، وليس إلى القرآن الكريم على أساس أن القرآن الكريم كان فقط يقص ما حدث بصرف النظر عن صحته من عدمه.

وحقيقة الأمر فإن كتب التفسير التي نحت هذا النحو قد أخطأت خطأ علميًا كبيرًا لا يمكن أن يقع فيه القرآن الكريم.

فمعروف علميًا أن من قواعد الرواية العلمية والاقتباس هو ذكر الرواية التي توضح ما حدث بأمانة، فإن كان الذاكر للرواية مقتنعًا بصحتها ودقتها يمكن أن يذكرها دون تعليق. كما يمكنه التعليق عليها إن أراد. أما إذا كان الذاكر للرواية غير مقتنع بها فعليه أن ينقدها ويشرح ما بها من أخطاء أو سلبيات ولا يتركها دون تعليق. فإن ذكر الذاكر الرواية دون التعليق عليها ليس له أي معنى سوى أنه مقتنع بصحة هذه الرواية.

وفي هذه الواقعة .. واقعة قول قوم مريم عليها السلام لها " يا أخت هارون .." والتي ذكرها القرآن الكريم في سورة مريم هي واقعة صحيحة وإن ما بها من قول هو قول صحيح وإن القرآن الكريم يقر بذلك طالما أن هذا القرآن الحكيم قد ذكر الواقعة وما بها من قول دون أن يعقب عليها. ومن ثم فلا مجال للقول بأنه إن كان ثمة خطأ قد وقع في هذا القول يكون الخطأ خطأ قوم مريم -عليها السلام- وليس خطأ القرآن الكريم.

الأخوة في القرآن الكريم

وقبل محاولة البحث عن المفهوم الحقيقي لقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ ينبغي أولاً التعرف على معنى الأخوة وأنواعها في الإسلام على ضوء بعض ما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

والأخوة في القرآن الكريم والسنة الشريفة ذات أنواع متعددة، ومتنوعة باختلاف العلاقات الإنسانية بين الأخوة. وهذا يدلل على اتساع أنواع الأخوة في القرآن الكريم والسنة الشريفة ليشمل بني البشر أجمعين، وفي محاولة لحصر هذه الأنواع تبين أنها تصل إلى ثلاثة عشر نوعًا تتمثل في أخوة الدم وأخوة الرضاعة وأخوة المصاهرة، وأخوة النبوة، وأخوة الدين والإسلام، وأخوة الإيمان، وأخوة القوم والعشيرة، وأخوة المعايشة، وأخوة الإنسانية، وأخوة التشابه والتماثل، وأخوة الآيات، كذلك فهناك من ناحية أخرى أخوة في النفاق والكفر وأخوة الشيطان، وفيما يلي تناول ذلك بالدراسة.

١- أخوة الدم:

وهي العلاقة بين الأخوة الذين يشتركون في الوالدين أحدهما أو كلاهما. فهناك الأخ الشقيق وهو الأخ ابن الأب والأم معًا، وهناك الأخ غير الشقيق، وهو الأخ من الأب فقط، أو الأخ من الأم فقط. وبالمثل وعلى نفس العلاقات هناك الأخت الشقيقة والأخت غير الشقيقة. وهناك آيات عديدة في القرآن الكريم تشير إلى هذا النوع من الأخوة منها قوله ﷻ: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1].

---

(١) سورة النساء، الآية ١١.

كما قال ﷻ: ﴿ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (١).

ويتضح من الآيتين الكريمتين السابقتين العلاقة الأخوية في الدم بجميع درجاتها.

كذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (٢) وتوضح هذه الآية الكريمة الأخوة غير الشقيقة من الأب.

وتمتد علاقة أخوة الدم لتشمل العلاقة بين أخوة الدرجة الواحدة وكذا الدرجات السابقة عليها كدرجة الآباء والأجداد وآباء الأجداد وأجداد الأجداد وهكذا... فكل من تربطه علاقة الدم يمكن أن يسمى أخًا أو أبًا وذلك حسب ما جرى عليه العرف. فمثلاً يمكن أن يقال لابن العم أخ كما يمكن أن يطلق على العم أخ أو أب مهما بعدت درجة القرابة.

٢- أخوة الرضاع:

وأخوة الرضاع هي أخوة بين الفرد وأبناء السيدة التي أرضعته وبشروط معينة. فتكون هذه السيدة أم هذا الفرد من الرضاع ويكون جميع أبنائها أخوته في الرضاع. وذلك مثل الحال بين الرسول الكريم محمد ﷺ وأمه في الرضاعة السيدة حليمة السعدية - رضي الله عنها - وأخته في الرضاع السيدة الشيماء - رضي الله

(١) سورة النساء، الآية ١٢.
(٢) سورة يوسف، الآية ٥٩.

عنها-. ويدلل القرآن الكريم على هذا النوع من الأخوة في العديد من الآيات منها قوله ﷻ: ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾[1].

٣- أخوة المصاهرة:

وهي أخوة في النسب بين الفرد وأخوة وأخوات زوجته وفقًا لشروط معينة. فإذا ما تزوج فرد ما من امرأة أصبح جميع إخوتها من الذكور وأخواتها من الإناث أخوة له. وهذه أخوة مؤقتة مشروطة باستمرار هذه الزيجة. فإذا ما طلق الرجل زوجته هذه أو ماتت زالت علاقة هذه الأخوة وأصبح من الممكن لهذا الزوج أن يتزوج أخت زوجته السابقة إن أراد. ويدلل القرآن الكريم على علاقة الأخوة بالمصاهرة هذه بقوله ﷻ: ﴿ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[2].

٤- أخوة النبوة:

وهي أخوة تجمع جميع الأنبياء من آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ، فالأنبياء جميعًا أخوة من الآباء ودينهم واحد. فكل منهم كان يدعو إلى سبيل ربه في مرحلة دعوية معينة من مراحل الدين الواحد وهو الإسلام. وقد قال رسول الله ﷺ ذلك في حديث شريف. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء أخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي)[3]. وهناك أحاديث أخرى بنفس المعنى مروية عن غير أبي هريرة في صحيح مسلم. وسيرد شرح هذا الحديث ومغزاه فيما بعد.

---

(١) سورة النساء، من الآية ٢٣.

(٢) سورة النساء، من الآية ٢٣.

(٣) مسلم (مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، طبعة استنابول، الطبعة الثالثة المأخوذة من شرح الإمام النووي، باب فضائل عيسى عليه السلام، الجزء الخامس، عام ١٣٣٢هـ، ص٢١٥.

٥- أخوة الدين والإسلام:

وهي أخوة تشمل جميع المسلمين، فالمسلمون جميعًا أخوة. وهذه الأخوة جمعت بين الكثيرين من كل الأجناس من عرب وعجم فساوت بينهم في الحقوق والواجبات. ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الأخوة في قوله ﷻ: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ (١).

٦- أخوة الإيمان:

والمسلم عندما يزداد إيمانه بالله يكون مؤمنًا وترتقي درجة أخوته من الأخوة في الإسلام إلى الأخوة في الإيمان فالمؤمنون جميعًا أخوة. وقد قال الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢).

٧- أخوة القوم والعشيرة:

ويعتبر جميع أفراد القوم أخوة في العشيرة، إذ أنهم ينحدرون غالبًا من أصل واحد، وتجمعهم صلات القرابة والمصاهرة المختلفة، ويعيشون في منطقة واحدة وتجمعهم مصالح مشتركة، وأفراحهم وأتراحهم واحدة غالبًا. ولقد ضرب الله لنا عدة أمثال على هذا النوع من الأخوة في القرآن الكريم حين قال ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ (٣) وفي قوله ﷻ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾(٤) وغيرها.

٨- أخوة المعايشة:

وهي أخوة تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون ويتعايشون معًا، بصرف النظر عن قومهم وعشيرتهم دياناتهم ومعتقداتهم وأصلهم وجنسياتهم ووظائفهم، وأعمالهم ومستوياتهم المعيشية، وقديماً قالوا (من عاشر القوم أربعين يوم صار منهم). فإذا ما عاش مجموعة من الأفراد معًا في مكان واحد نشأت بينهم أنواع من المودة والتحاب

---

(١) سورة البقرة، من الآية ١٧٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية ١٠.
(٣) سورة الأعراف، من الآية ٦٥.
(٤) سورة الأعراف، من الآية ٨٥.

بصرف النظر عن اختلافاتهم الشخصية والمجتمعية وصار كل فرد من هذه المجموعة بمثابة أخ لكل أفرادها يفرح بفرحهم ويحزن لأحزانهم. فالعشرة تولد التعاون والتعاون يولد الألفة والأخوة.

٩- أخوة الإنسانية:

وهذه الأخوة تجمع بين كل الأمم التي خلقها الله. وهذه الأمم بعضها سابق وبعضها لاحق، لكنهم ينسبون جميعًا لآدم عليه السلام، فالإنسانية تجمع بين كل البشر بصرف النظر عن أصلهم ونسبهم وعقيدتهم ووطنهم. ولقد جاء ذكر هذا النوع من الأخوة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ (١)

١٠- أخوة التشابه والتماثل:

وهذا النوع من الأخوة يجمع بين الأشياء المتشابهة والمتماثلة فمثلاً لو أن سيارة تشبه سيارة أخرى وتماثلها لأنها من نفس الموديل ونفس سنة الإنتاج فيقال إن السيارة الأولى أخت السيارة الثانية. ولو أن طالبين متميزين من الناحية الخلقية والعلمية مثلا فيقال إن الطالب الثاني هو أخ للطالب الأول إذ أنهما متشابهان ومتماثلان في السمات التي ينبغي أن يتسم بها الطلاب.

١١- أخوة الآيات:

وآيات الله في الكون عظيمة وكثيرة وجميعها أخوة في الحث على الإيمان بالله وبعض هذه الآيات الأخوات صغيرة وبعضها كبيرة إلا أن جميعها تؤكد أن الله تعالى هو الحق. وهذه الآيات بعضها في آفاق الله وبعضها في أنفس بني البشر، وجميعها خلقها الله لتدل عليه وعلى قدرته وطلاقته. ولقد جاء معنى أخوة هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ (٢).

---

(١) سورة الأعراف، من الآية ٣٨.

(٢) سورة الزخرف، من الآية ٤٨.

١٢- أخوة النفاق والكفر:

وهي أخوة ملعونة من الله ﷻ بين المنافقين والكافرين، والمنافقون هم من يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وهم يدعون الإسلام ويتظاهرون بحبهم لرسول الله ﷺ ويضمرون الحقد عليه ويتمنون الشر له. وهي أخوة يائسة تلقي بأفرادها في النار. وهؤلاء المنافقون لا يختلفون كثيرًا عن الكافرين.

فالكفار هم من عُرض عليهم الإسلام فأبوا ألا يسلموا وألا يؤمنوا ومنهم من يؤمن بالأصنام أو بالنار أو أي شيء آخر. ومنهم كذلك المشرك الذي يشرك بالله ﷻ ويجعل مع الله إلهًا آخر، ومثواهم جميعا النار وبئس المصير. وهذا النوع السيء من الأخوة بين المنافقين والكافرين تحدث عنهم القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1].

١٣- أخوة الشيطان:

وبئس الأخوة أخوة الشيطان.. فهي أخوة تجمع بين الطالحين من الإنس والجن فيسيروا في ركب الشيطان الذي يزين لهم أعمالهم فيرون سيء أعمالهم حسنًا ويتبعون أهوائهم ولا يأتون ما أمر الله ﷻ به ولا يجتنبون نواهيه فمثواهم النار وبئس المصير. ومن بين أخوة الشيطان المبذرين وذلك واضح من قوله ﷻ في محكم آياته: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[2].

تحديد الهوية

ولعله من الملائم الآن القيام بدراسة لتحديد هوية الشخصيتين المحوريتين في هذا الموضوع... وهما هارون ومريم؛ لأنه بهذا التحديد يحسم الأمر ويتبقى بعد ذلك الأدلة والبراهين. وفيما يلي محاولة لتحديد هذه الهوية:

---

(١) سورة الحشر، الآية ١١.

(٢) سورة الإسراء، من الآية ٢٧.

قال الله ﷻ في سورة مريم: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[1].

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه الآن هو: من المقصود بهارون في هذه الآية الكريمة؟

- هل هو هارون النبي أخو موسى عليهما السلام؟

- هل هو رجل صالح كان يعيش في عصر مريم العذراء عليها السلام فشبهت به لصلاحها وورعها وتقواها وقيل لها ذلك من قومها على سبيل التهكم والاستهزاء؟

- هل هو رجل طالح كان يعيش في عصر العذراء -عليها السلام- فشبهت به على سبيل اللوم والتوبيخ؟

- هل هو أخ لها بالفعل؟

وبالنظر إلى نفس السورة الكريمة، سورة مريم، وبالمضي قُدُمًا في قراءة آياتها التالية بعد الآية السابقة نجد آية تقول: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾[2].

وهنا يُثار السؤال التلقائي التالي:

ما العلاقة بين هارون الأول في الآية رقم ٢٨ وهارون الآخر في الآية رقم ٥٣ من نفس السورة الكريمة سورة مريم؟

والإجابة يصل إليها بسهولة أي عارف بسيط بقواعد اللغة العربية البسيطة أو حتى أي إنسان لم يأخذ إلا قسطًا قليلًا من التعليم .. الإجابة ببساطة أن هارون الأول في الآية رقم ٢٨ هو نفسه هارون الثاني في الآية ٥٣ من نفس السورة. وهذا ما

(١) سورة مريم، الآية ٢٨.
(٢) سورة مريم، الآية ٥٣.

يتفق ويتمشى مع منطق الأمور؛ طالما ذُكرا الاثنان في نفس السورة وليس في سورتين مختلفتين، كما لم يتم التمييز بينهما.

فالقرآن الكريم هو كلام الله ﷻ ومن ثم فهو أفصح وأبلغ ما في هذا الكون، وأبسط قواعد الكتابة أن يكون هارون الأول هو نفسه هارون الثاني طالما لم يذكر ما يدل على خلاف ذلك، وطالما ذُكرا في نفس السورة.

فلو تصورنا مثلا أن مجموعة من الأفراد كانت تتحدث في موضوع ما وذكرت اسم إبراهيم وبعد دقائق أُعيد ذكر اسم إبراهيم مرة أخرى فمن المؤكد أن إبراهيم هذا هو شخص واحد في الحالتين؛ إذ لو كان إبراهيم الثاني غير الأول لميّز المتكلم بينهما كأن يقول إبراهيم أحمد في المرة الأولى وإبراهيم عمر في المرة الثانية مثلا ليميز بينهما. أما وإن المتكلم قال إبراهيم وفقط في الحالتين فهو قطعًا لا يريد التمييز بينهما ومن ثم فهما شخص واحد.

إذا كان هذا المنطق السليم هو منطق البشر في ا لحوار فما بال منطق خالق البشر المتعال ..؟؟!

إن أبسط قواعد اللغة .. أي لغة .. وأبسط قواعد المنطق ... أي منطق تؤكد أن هارون هو شخص واحد في الآيتين المذكورتين في نفس السورة.

وطالما أن الآية الثانية رقم (٥٣) من نفس السورة الكريمة مريم تتحدث عن هارون النبي أخو رسول الله موسى عليهما السلام وعلى ذلك يكون هارون المقصود في الآية الأولى رقم (٢٨) من نفس السورة هو أيضًا هارون النبي أخو موسى عليهما السلام.

أرجو بهذا المنطق أن تكون شخصية هارون بالآية رقم (٢٨) موضع الدراسة قد حُسمت وحددت على أنه هارون النبي ﷺ وليس رجل صالح أو آخر طالح كان في عصر العذراء مريم عليها السلام كما أنه ليس أخًا لها على نحو ما ورد في بعض كتب التفاسير المختلفة السابقة.

عرض الاستنتاج على المعطيات الإسلامية:

وبعرض الاستنتاج السابق التوصل إليه وفحواه أن المقصود بهارون في الآية السابقة هو نبي الله هارون عليه السلام على المعطيات الإسلامية يتبين اتفاقه وعدم تعارضه معها وفيما يلي بيان ذلك:

أ- الاستنتاج لا يتعارض مع السنة الشريفة:

سبق ذكر أن رسول الله ﷺ قال للمغيرة بن شعبة الذي بعثه إلى نجران عندما حدثه عن تساؤل أهلها حول ماهية هارون في الآية الكريمة أنه ﷺ قال له: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين من قبلهم". وخلصنا من قبل على أن قول الرسول ﷺ يمكن أن يستدل منه على ثلاثة معاني ذكرت في حينها، منها أن المقصود بهارون في قول بني إسرائيل: (يا أخت هارون ..) هو هارون أخا موسى عليهما السلام لكن ليس معنى ذلك أن مريم عليها السلام أم المسيح عليه السلام هي بالفعل أخت النبي هارون عليه السلام، أي هي ابنة أبيه وأمه. إنما هي فقط سميت باسمه، ومن ثم يتبين عدم التعارض بين الاستنتاج السابق وما جاء في السنة الشريفة.

لماذا لم تنسخ الآية؟

ولو تصورنا جدلاً أن هناك خطأ وقع فيه الرسول ﷺ كما يدعي البعض فلماذا لم ينسخ الرسول ﷺ هذه الآية بعد أن تبين له ذلك؟!!

لماذا لم ينسخ الرسول الأمين هذه الآية (نسخ تلاوة) أي بحذفها من القرآن الكريم تمامًا طالما سببت له بعض المتاعب والمشاكل الإيمانية - لقد سبق وأن نسخت بعض الآيات نسخ تلاوة فحذفت من القرآن الكريم تماما وكان هذا أمراً عاديًا -.. فلماذا لم يفعل الرسول ذلك في هذه الآية إذا كان قد ادعى نزولها وأخطأ فيها؟!!

إن منطق الأمور يقول إن الرسول ﷺ كان سيبادر بنسخ الآية وحذفها من القرآن بالكلية إذا كان يدعيها دون وحي وسببت له بعض المشاكل والقيل والقال. إن

عدم نسخ هذه الآية رغم اعتراض البعض عليها ورغم ما تكتنفه من بعض الغموض دليل على صدقها وصدق الرسول الصادق ﷺ .

ب- الاستنتاج لا يتعارض مع قول عائشة رضي الله عنها:

كذلك فإن الاستنتاج السابق الخاص بكون نبي الله هارون عليه السلام هو المقصود في قول بني إسرائيل: (يا أخت هارون ..) لا يتعارض مع قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل يتفق مع قولها تمامًا. فقد سبق القول أنه عندما قال كعب على مسامعها أنه ليس المقصود بهارون في هذه الآية هارون أخا موسى عليهما السلام قالت له رضي الله عنها: كذبت ... واضح من قوة الرد أن أم المؤمنين رضي الله عنها كانت واثقة تمامًا من صدق ما تعرفه وهو أن المقصود بهارون هو هارون أخا موسى عليهما السلام، وليس أي أحد سواه .. كانت - رضي الله عنه - واثقة تمامًا على الرغم من وجود تناقض واختلاف حول الفترة التي عاشت فيها العذراء مريم عليها السلام وتلك التي عاش فيها هارون عليه السلام والتي تبعد عن الأولى بما لا يقل عن ستة قرون.

إن إجابة عائشة - رضي الله عنها - يفهم منه أنها تعرف الإجابة الصحيحة وإن لم تعرف تفسيرها. وبذلك فلا تعارض بين الاستنتاج في هذا البحث وقول أم المؤمنين رضي الله عنها.

ج- الاستنتاج لا يتعارض مع محتوى كتب التفسير:

تبين كذلك أن ما سبق التوصل إليه من استنتاج خاص بالنبي هارون عليه السلام لا يتعارض كذلك مع معظم كتب التفسير للقرآن الكريم السابق استعراض محتواها العلمي. فغالبية هذه الكتب رجحت من بين ما رجحت من احتمالات الاحتمال القائل بأن المقصود بهارون في الآية السابقة هو هارون أخا موسى عليهما السلام وإن عجزت عن تفسير ذلك وعجزت كذلك عن فك ألغازه.

ثانيًا: هوية مريم:

ولعله من الأمور المهمة في هذا الصدد التعرف على نحو واضح ومحدد هوية مريم المقصودة في الآية الكريمة والتي تبدأ بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾. هل هي مريم ابنة عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام؟ أم هي مريم ابنة عمران أم نبي الله عيسى عليه السلام؟.

يردد أعداء الإسلام القول بأن القرآن الكريم قد أخطأ في معرفة شخصية مريم المقصودة في الآية الكريمة وتصور أنها هي مريم ابنة عمران شقيقة نبي الله هارون عليه السلام ولذا قال الله ﷻ لها: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾. وهذا كلام عارٍ من الصحة؛ فالمقصود في هذه الآية هي مريم ابنة عمران أم رسول الله عيسى عليهما السلام، أما القول بأنها أخت هارون عليه السلام فسيأتي تفسير ذلك فيما بعد.

والسؤال المهم المطروح الآن هو:

ما الدليل على أن القرآن الكريم لم يخطئ وأن المقصودة في الآية الكريمة السابقة هي مريم ابنة عمران أم رسول الله عيسى عليهما السلام؟

الدليل على صحة القرآن الكريم هو أن النبي محمد ﷺ الذي نزل عليه القرآن الكريم هو أكثر البشر فهمًا له وإدراكًا لكل شخوصه، هذا النبي الكريم يعلم تمامًا أن المقصودة هي مريم ابنة عمران أم رسول الله عيسى عليهما السلام، وليست مريم ابنة عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام، والدليل القاطع على ذلك ما جاء على لسان رسول الله ﷺ في الحديث الشريف التالي:

قال الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن يعلي بن المغيرة عن أبي داوود أنه قال: دخل رسول الله ﷺ على السيدة خديجة رضي الله عنها وهي في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها: "بالكره مني ما أرى منك يا خديجة (أي حزين لمرضك)، وقد يجعل الله في الكره خيرًا كثيرًا، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم ابنة

عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت: وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاه والبنين"[1].

ويفهم من هذا الحديث الشريف أن النبي محمد ﷺ قد ميّز بين مريم ابنة عمران أم رسول الله عيسى عليهما السلام ومريم ابنة عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام، والدليل هو ما ذكره ﷺ من أنه سيتزوج مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى في الجنة ومن ثم فلا يمكن أن تكون مريم ابنة عمران المقصودة هي مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام لأنه لا يمكن له الجمع بين أختين لا في الدنيا ولا في الآخرة لا هو ولا أي من أمته.

فهذا النبي الأمي ﷺ والذي نزل القرآن الكريم عليه والذي يدّعي أعداء الإسلام أنه كتبه من عنده هو نفس النبي الأمي الذي يعرف أن مريم ابنة عمران أم رسول الله عيسى عليهما السلام ليست هي مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام. وهو نفس النبي الأمي الذي يعرف أن آسية امرأة فرعون التي تربى نبي الله موسى عليه السلام في بيتها عاشت في عصر نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام وأختهما كلثم منذ مئات السنين وبالطبع فهو عليه الصلاة والسلام يعرف أن بين مريم ابنة عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام ومريم ابنة عمران أم عيسى عليهما السلام مئات السنين. خاصة وقد سبق إثبات أن نبي الله عيسى عليه السلام هو آخر الرسل قبل رسول الله ﷺ. أي أن هناك فارقًا زمنيًّا يقدر بمئات السنين بين موسى وهارون عليهما السلام وبين عيسى عليه السلام. أي أن هناك مئات السنين بين مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام ومريم ابنة عمران أم عيسى عليهما السلام.

هذا النبي الذي يعرف كل ذلك كيف يخطئ في القرآن الكريم ويتصور أن مريم ابنة عمران أم نبي الله عيسى عليهما السلام هي نفسها مريم ابنة عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام؟.

(١) حديث ضعيف وإن كان روي نفس المعنى تقريبًا وبنصوص مختلفة في ثلاثة أحاديث أخرى مروية عن العديد من الصحابة ينتهي أحدهم بالصحابي الجليل عبد الله بن عباس. انظر: ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص٥٦٧.

والآن إذا كان قد تبيّن من السابق أن المقصود بهارون في الآية الكريمة موضع الدراسة هو هارون نبي الله عليه السلام وإذا تبين، على نحو قائم إيضاحه، أن المقصوة في نفس الآية الكريمة هي مريم ابنة عمران أم نبي الله عيسى عليهما السلام. إذا كان هذا هو هارون النبي عليه السلام وهذه هي مريم أم عيسى عليهما السلام .. فكيف يأتي هذا مع هذه وبينهما مئات السنين؟.

إذا ما تبين من هذه الدراسة الحكمة في الربط بين شخص نبي الله هارون عليه السلام وشخصية مريم أم عيسى عليهما السلام في موضوع الآية الكريمة .. إذا ما تبينت هذه الحكمة من خلال هذه الدراسة ... ألا يُعد هذا إعجاز قرآني لنبي أمي لم يكن يعرف القراءة فضلاً عن الكتابة؟

ألا يعتبر هذا الإعجاز القرآني دليلاً دامغًا على صدق القرآن الكريم؟

ثالثًا: هوية مريم أخت موسى وهارون عليهم السلام:

والآن ماذا عن مريم ابن عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام؟ ... لقد اتسمت هذه الفتاة بالصلاح والتقوى والورع - مثل بقية أفراد بيتها- وهي سمات بيت النبوة. ولقد لعبت دورًا كبيرًا في الدعوة إلى الله بمساعدة أخويها نبيا الله عليهم جميعًا السلام. ويعتقد أن مريم هذه هي الإبنة الكبرى لأم موسى عليهم السلام، وأن كلثم - رضي الله عنهما - هي أختها ا لصغرى.

ولقد تزوجت هذه الفتاة كالب بن يوفنا وهو أحد أصحاب رسول الله موسى عليه السلام وهو من قام بأمور بني إسرائيل بعد يوشع بن نون فتى رسول الله موسى عليه السلام في رحلته مع الخضر عليه السلام. ولقد كان كالب ويوشع رجلان يخافان الله وهما القائلان لبني إسرائيل حين تكلموا عن الجهاد: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢٣.

ولقد لعبت هذه الفتاة الطاهرة دورًا كبيرًا في طفولة نبي الله موسى عليه السلام إذ أنها الابنة التي راقبت التابوت الذي كان به نبي الله موسى عليه السلام رضيعًا وهو باليم بناء على وصية والدتها وهي التي قالت لآل فرعون: (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون) ودلتهم على والدتها لترضعه وتربيه، وبذلك عاد الرضيع إلى أمه كما وعدها الله ﷻ وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [1].

كذلك فإن هذه الفتاة التقية هي التي سَبَحت مع بني إسرائيل قائلة: (نسبح الرب البهي، الذي قهر الجنود، ونبذ فرسانها في البحر المنيع المحمود)، وأخذت دفًا بيدها وأخذ النساء في إثرها معهن دفوفًا وطبولًا وتقول: (سبحان الرب القهار، الذي قهر الخيول وركبانها إلقاء في البحر)[2].

(١) سورة القصص، الآيات من ١٠ إلى ١٣.

(٢) ابن كثير (إسماعيل بن كثير) ، قصص الأنبياء، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص٣٦٠.

الفصل الثاني

هارون عليه السلام ... لماذا ؟

الفصل الثاني

هارون عليه السلام ... لماذا ؟

بعد أن تحددت شخصية هارون عليه السلام في الفصل السابق يتناول هذا الفصل دراسة سبب قول قوم مريم عليها السلام لها : (يا أخت هارون ..) وسبب الربط برباط الأخوة بين هارون ومريم عليهما السلام وذلك من خلال دراسة ثلاثة موضوعات رئيسية أولها توضيح علاقة القرابة بين مريم أم عيسى ونبي الله هارون عليهم جميعا السلام، وثانيها توضيح أوجه التشابه والتماثل بين آل عمران الأولى التي ينتمي إليها نبيا الله هارون وموسى عليهما السلام وآل عمران الثانية التي تنتمي إليها مريم ونبي الله عيسى عليهما السلام، مما يحمل على الاعتقاد بوجود تآخي بين البيتين لتشابههما وتماثلهما وبالتالي وجود تآخي بين أفراد كل بيت وأفراد البيت الآخر. وثالث هذه الموضوعات هو محاولة الإجابة عن سؤال مؤداه أنه إذا كان هناك قرابة وتآخي بين البيتين الكريمين وكذا بين أفرادهما فلماذا قال قوم مريم العذراء عليها السلام: يا أخت هارون ولم يقولوا يا أخت موسى؟.

القرابة بين العذراء مريم وهارون عليهما السلام:

ويمكن إيضاح علاقة القرابة بين العذراء مريم عليها السلام ونبي الله هارون أخا موسى عليهما السلام وذلك في النقاط التالية:

أ- العذراء مريم عليها السلام صِدِّيقة وليست إلهة:

فكما سبق القول فمريم البتول عليها السلام كانت فتاة شريفة عفيفة من بيت الطهارة والورع والصلاح، فقد جمعت العذراء مريم كل هذه الشمائل السامية من طرفيها الأب والام.

والقرآن الكريم يوضح أن العذراء لم تكن مثل كل الفتيات الطاهرات فحسب، بل كانت صديقة وهذا واضح من قوله ﷻ: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [1] وواضح من

(١) سورة المائدة، من الآية ٧٥.

هذه الآية الكريمة صفة المسيح وأمه عليهما السلام وأنه عبد رسول وأمه صديقة، أي أنها إنسانة طاهرة نقية صالحة مؤمنة بربها ومن ثم فهي ليست فاجرة كما يزعم اليهود، في ذلك دليل كذلك على أنها ليست ثالث ثلاثة، أي أنها وابنها عليهما السلام ليسا إلهين مع الله وهذا واضح من قوله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[1] وذلك على غير ما يعتقد النصارى، فهي وابنها كانا يأكلان الطعام وبالتالي يخرج منهما فضلات كما يخرج من غيرهما ومن كان بهذه المثابة كيف يكون إلهاً! تعالى الله ﷻ عن ذلك علوًا كبيرًا. كذلك فالعذراء مريم عليها السلام ليست نبية كما يزعم بعض المسلمين. ومنزلة صديقة منزلة عالية ورفيعة ويكفي القول بأنه ليس كل الأنبياء صديقين، فإذا كانت هي الصديقة من النساء فإن الصديقين من الرجال قليل منهم نبي الله إدريس عليه السلام، ونبي الله يوسف عليه السلام، وأبو بكر الصديق صاحب رسول الله ﷺ.

ب- الأنبياء كلهم أخوة:

ويوضح الحديث الشريف التالي الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أن الأنبياء جميعًا أخوة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: الأنبياء أخوة من علات[2] وأمهاتهم شتى ودينهم واحد، فليس بيننا نبي"[3].

وأهم ما يؤكد عليه هذا الحديث أن جميع الأنبياء أخوة من علات - أي من آباء - فجميعهم أبوهم واحد هو النبي آدم عليه السلام، وكانت أول أم لهم حواء

---

(١) سورة المائدة، من الآية ٧٣.

(٢) علات: من علل، بنو العلات، أولاد الرجل من نسوة شتى، سميت بذلك لأن الذي تزوج أخرى على أولى قد كانت مثلها ناهل ثم عل من هذه .. اقرأ: الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، لبنان. طبعة حديثة منقحة، ص٤٥١.

(٣) مسلم (مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، طبعة استنابول، الطبعة الثالثة المأخوذة من شرح الإمام النووي، باب فضائل عيسى عليه السلام، الجزء الخامس، عام ١٣٣٢هـ، ص٢١٥.

-عليها السلام- زوجة أبيهم آدم عليه السلام والتي خلقها الله من ضلع آدم عليه السلام. ولقد تعددت أمهاتهم بعد ذلك. واستمروا ينحدرون من هذا النبي جيلا بعد جيل حتى وصلوا إلى نبي الله محمد ﷺ، وفيما يلي إيضاح ذلك[1].

شيث ابن آدم عليه السلام .. انحدر منه كل البشر:

بدأت سلالة البشر ومعها سلالة الأنبياء بنبي الله ورسوله آدم عليه السلام والذي وهبه الله ولدان هما قابيل وهابيل فقتل قابيل هابيل ثم عوض الله آدم عليه السلام عن قتل هابيل بابنه شيث والذي انحدر منه كل الأنبياء والبشر.

خضر بن آدم عليهما السلام .. يعيش إلى ما شاء الله:

ولقد أنجب قابيل الخضر عليه السلام واسمه خضرون بن قابيل بن آدم وقيل إن آدم عليه السلام حين حضرته الوفاة أخبر بنيه أن طوفان سيقع بالبشر وشتى الكائنات وأوصاهم أن يحملوا جسده حينئذ في سفينة النجاة وأن يدفنوه في مكان معين. فلما جاء الطوفان في زمن نوح عليه السلام حملوا معهم جسده وهبطت السفينة إلى الأرض أمر نوح عليه السلام بنيه بأن يذهبوا ليدفنوه حيث أوصى جدهم عليه السلام فخاف أبناءه من المكان حيث كان موحشًا ومخيفًا وقال لهم إن جدهم آدم عليه السلام دعا لمن يدفنه بطول العمر فهابوا السير إلى المكان ليلاً وظل جسد آدم عليه السلام لديهم حتى تولى الخضر عليه السلام دفنه وأنجز الله ما وعده فهو يعيش إلى ما شاء الله له أن يعيش.

شعوب ما قبل الطوفان:

استمر أولاد شيث في التناسل حتى وصلوا إلى نبي الله إدريس عليه السلام والذي كان منهم شعوب ما قبل الطوفان. كذلك استمر أولاد إدريس عليه السلام في التناسل جيلا بعد جيل حتى كان نبي الله ورسوله نوح عليه السلام والذي حدث في عصره الطوفان.

---

(١) ابن كثير (أبي الفداء إسماعيل بن كثير)، قصص الأنبياء، مرجع سابق.

سلالة نوح عليه السلام تملأ الأرض:

رزق الله نوحًا عليه السلام بولدين هما يافث والذي خرج من نسله شعوب الترك والصين ويأجوج ومأجوج والصقالبة، وغيرهم وحام، والذي خرج من نسله شعوب السودان والهند والسند والبربر والقبط وغيرهم.

كذلك كان من أولاد نوح عليه السلام ولداه هاران، وسام، ولقد كان من نسل سام، العرب البائدة. والجزء الآخر من السلالة غير العربية وهم البابليون والآشوريون والكنعانيون من بلاد فارس والروم.

وانحدر من سلالة سام بن نوح عليه السلام نبي الله صالح عليه السلام الذي أرسل إلى ثمود في الحجر، ونبي الله هود عليه السلام الذي أرسل إلى عاد في الأحقاف.

واستمرت سلالة هاران بن نوح عيه السلام فكان نبي الله لوط عليه السلام .

إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء:

ولقد استمرت سلالة نوح عليه السلام في التناسل حتى جاء آزر واستمرت كذلك إلى أن جاء نبي الله ورسوله إبراهيم عليه السلام. ولقد كان من سلالة إبراهيم عليه السلام سته أولاد من زوجته قنطورا بنت يقطن الكنعانية هم زمران وبقشان وشوحا ومدان وشياق ومدين ولقد كانوا من شطر السلالة العربية من أولاد سام وهم العرب البائدة والعاربة والمستعربة[1].

ولقد كان من سلالة مدين نبي الله شعيب عليه السلام، والذي أرسل إلى العرب العاربة وإلى أهل مدين، ويعتقد أنهم كانوا من العرب على الأرجح.

---

(١) العرب البائدة: وهم من نسل سام بن نوح عليه السلام،
، العرب العاربة: هم العرب الذين كانوا قبل نبي الله إسماعيل عليه السلام وهم قبائل كثيرة، فمنهم عاد وثمود وجرهم ومدين وقحطان وغيرهم،
، العرب المستعربة: هم من ولد نبي الله إسماعيل عليه السلام.

وكذلك كان من سلالة إبراهيم عليه السلام من زوجته حجون بنت أمين خمسة أبناء: هم كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس.

ولقد كان من سلالة إبراهيم عليه السلام نبي الله إسماعيل عليه السلام ونبي الله إسحاق عليه السلام.

ولقد كان من سلالة نبي الله إسماعيل عليه السلام أجيال وأجيال انتهت بنبي الله ورسوله محمد ﷺ والذي أرسل للعالمين كافة.

لقد أنجب نبي الله إسحاق عليه السلام نبي الله يعقوب عليه السلام، كذلك أنجب عيصًا والذي كان توءما لنبي الله يعقوب عليه السلام.

ولقد كان من سلالة عيص بن إسحاق عليه السلام نبي الله أيوب عليه السلام، والذي أنجب نبي الله ذا الكفل عليه السلام، ولقد أرسل هذان النبيان الأخيران إلى أهل دمشق وكل ما حولها من سورية.

يعقوب عليه السلام الجد الأكبر لهارون ومريم عليهما السلام:

ولقد كان من سلالة نبي الله يعقوب عليه السلام نبي الله يوسف عليه السلام، وكان من سلالة نبي الله يوسف عليه السلام ابنه أفرائيم الذي انحدر منه نبي الله اليسع عليه السلام.

كذلك كان من سلالة نبي الله يعقوب عليه السلام الأسباط[1]، الذين انحدر منهم بنو إسرائيل وهم لاوى ونفتالي وجاد ودان وأشير وإيسافر وزوبلون وشمعون ورؤبيل ويهوذا وبنيامين.

كذلك انحدر من سلالة يوسف عليه السلام، نبي الله يوشع ابن نون وهو الذي تولى النبوة في بني إسرائيل بعد وفاة رسول الله موسى عليه السلام.

---

(١) الأسباط : هم ولد الولد، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب. انظر: مختار الصحاح للرازي السابق ص٢٨٣.

آل عمران الأولى:

ولقد كان من سبط لاوى ابن يعقوب عليه السلام أجيال وأجيال، انتهت بعمران، الذي أنجب نبي الله هارون عليه السلام، ونبي الله ورسوله موسى عليه السلام. والذي أرسل إلى العرب المستعربة، وهو رسول اليهود وبنو إسرائيل هو وأخوه نبي الله هارون عليه السلام، كذلك كان من سلالة عمران مريم، وكلثم أختا موسى وهارون عليهم السلام.

أيضًا كان من سلالة سبط لاوى نبي الله أرميا عليه السلام.

بني هارون عليه السلام يتولون الكهانة:

ولقد كان من سلالة نبي الله هارون عليه السلام نبي الله شموئيل عليه السلام، كما كان من ذرية هارون عليه السلام العازر وأبيهو ويثمر وناداب، وكانوا يتولون الكهانة. وكان من سلالة فنحاص بن إلعازر بن هارون عليه السلام نبي الله إلياس عليه السلام، كذلك كان من سلالة فنحاص نبي الله العزير عليه السلام

آل عمران الثانية:

ولقد كان من ذرية يهوذا وهو من آخر الأسباط نبي الله داود عليه السلام، والذي أنجب ابنه نبي الله سليمان عليه السلام، وتعاقبت أبناء سليمان عليه السلام جيلا بعد جيل، حتى ولد عمران الذي أنجب العذراء مريم عليها السلام والتي أنجبت السيد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام. لقد أرسل نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام لبني إسرائيل وهو رسول المسيحيين.

ولقد كان من ذرية نبي الله سليمان عليه السلام كذلك نبي الله ذكريا عليه السلام، والذي أنجب نبي الله يحيي عليه السلام، والذي كان ابن خالة السيد المسيح، وعاش في عصره. ولقد أدى نبيا الله زكريا ويحيى عليهما السلام دورًا عظيمًا في دعوة رسول الله عيسى عليه السلام.

ولقد كان من ذرية بنيامين وهو من آخر الأسباط أيضًا نبي الله يونس عليه السلام والذي أرسل إلى أهل نينوى.

انظر شجرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

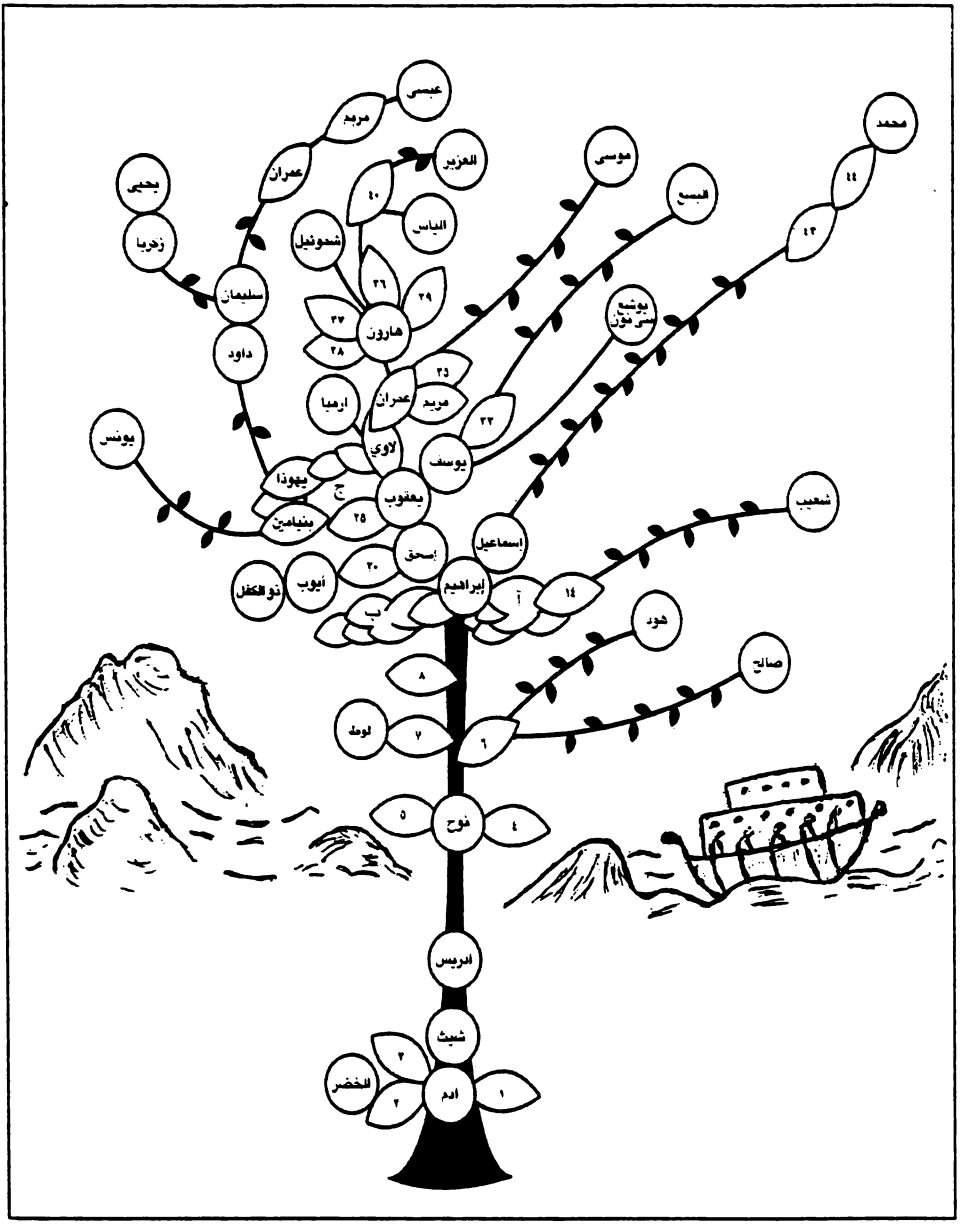

شجرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

دليل الرسم التخطيطي لشجرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

أولاً: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام:

١- آدم عليه السلام.

٢- شيث عليه السلام.

٣- الخضر عليه السلام.

٤- إدريس عليه السلام.

٥- نوح عليه السلام.

٦- هود عليه السلام.

٧- صالح عليه السلام.

٨- إبراهيم عليه السلام.

٩- لوط عليه السلام.

١٠- إسماعيل عليه السلام.

١١- إسحاق عليه السلام.

١٢- يعقوب عليه السلام.

١٣- يوسف عليه السلام.

١٤- شعيب عليه السلام.

١٥- يوشع بن نون عليه السلام.

١٦- أيوب عليه السلام.

١٧- ذو الكفل عليه السلام.

١٨- هارون عليه السلام.

١٩- موسى عليه السلام.

٢٠- أرميا عليه السلام.

٢١- إلياس عليه السلام.

٢٢- دواد عليه السلام.

٢٣- سليمان عليه السلام.

٢٤- العزير عليه السلام.

٢٥- شموئيل عليه السلام.

٢٦- اليسع عليه السلام.

٢٧- يونس عليه السلام.

٢٨- زكريا عليه السلام.

٢٩- يحيى عليه السلام.

٣٠- عيسى عليه السلام.

٣١- محمد ﷺ.

ثانيًا: بعض الأبناء والأجداد:

١- حواء.
٢- قابيل.
٣- هابيل.
٤- يافث.
٥- حام.
٦- سام.
٧- هاران.
٨- آزر.

أولاد رسول الله إبراهيم عليه السلام من (قنطورا) بنت يقطن الكنعانية (أ):

٩- زمران.
١٠- شياق.
١١- يقشان.
١٢- شوحا.
١٣- مدان.
١٤- مدين.

أولاد رسول الله إبراهيم عليه السلام من (حجون) بنت آمين (ب) من رقم ١٥ إلى رقم ١٩:

١٥- كيسان.
١٦- سورج.
١٧- أميم.
١٨- لوطان.
١٩- نافس.
٢٠- العيص.

الأسباط الذين انحدر منهم بنو إسرائيل (ج) من رقم ٢١ إلى رقم ٣١:

٢١- لاوي.
٢٢- نفتالي.
٢٣- جاد.
٢٤- دان.
٢٥- إيسافر.
٢٦- أشير.

٢٧- زوبلون. ٢٨- شمعون.

٢٩- يهوذا. ٣٠- رؤبيل.

٣١- بنيامين.

٣٢- عمران والد هارون وموسى عليهما السلام.

٣٣- أفراثيم بن يوسف عليه السلام.

٣٤- مريم ابنة عمران أخت هارون وموسى عليهما السلام.

٣٥- كلثم ابنة عمران أخت هارون وموسى عليهما السلام.

أبناء هارون عليه السلام سدنة المحراب المتولون للكهانة من رقم ٣٦ إلى رقم ٣٩:

٣٦- العازر. ٣٧- إبيهو.

٣٨- يثمر. ٣٩- ناداب.

٤٠- فنحاص.

٤١- عمران والد مريم أم عيسى عليها السلام.

٤٢- مريم بنت عمران والدة عيسى عليه السلام.

٤٣- عبد المطلب جد الرسول محمد ﷺ.

٤٤- عبد الله والد الرسول محمد ﷺ.

ولا يعني بالضرورة السرد التاريخي السابق وانحدار الأنبياء جميعًا والرسل عليهم الصلاة والسلام من بعضهم البعض أن كل نبي أو رسول ورد اسمه قبل نبي أو رسول آخر أنه أقدم منه لكن توضيح سلالة نبي أو رسول معين استلزم أحيانًا سرد آبائه وأجداده كلهم لتكتمل سلسلة نسبه ثم بعد ذلك يأتي سرد فرع آخر لنبي

آخر قد يكون أقدم تاريخيا من بعض هؤلاء الذين سبقوه في سلسلة النبي أو الرسول الذي سبق ذكره قبله.

كذلك فهناك أنبياء عاشوا معًا في نفس الفترة التاريخية مثل نبي الله شعيب عليه السلام ورسول الله موسى عليه السلام ومثل نبي الله هارون ورسول الله موسى عليهما السلام، وكذا مثل رسول الله عيسى ونبيا الله زكريا ويحيى عليهم السلام.

ويلاحظ من السرد السابق لأنساب الأنبياء عليهم السلام أن هناك أربعة أنبياء فقط كانوا من العرب: هم هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام. وأن بقية الأنبياء كانوا من الشعوب غير العربية.

كذلك يلاحظ أن الطوفان حدث في زمن رسول الله نوح عليه السلام، وأن ما سبقه من أنبياء ورسل هم أنبياء ورسل ما قبل الطوفان وأن ما تلاه من أنبياء ورسل هم أنبياء ورسل ما بعد الطوفان والذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾[1].

ج- العذراء مريم وهارون وموسى من سلالة يعقوب عليهم السلام:

واضح من الدراسة السابقة أن العذراء مريم عليها السلام من سلالة نبي الله يعقوب عليه السلام إذ أنها تنحدر من نسل يهوذا وهو أحد الأسباط من أبناء نبي الله يعقوب إلى ما لا يقل عن عشرين جيلاً فهي مريم ابنة عمران ابن ياشم بن آمون بن ميشا بن حزقيا بن أحريق بن موثم بن عزازيا بن أمصيا بن ياوش بن آحزيهو بن يازم بن يهفشاط بن آيشا بن أيان بن رحبعام بن داود بن يهوذا بن يعقوب عليهم جميعًا السلام.

وبالنسبة لنبيا الله هارون وموسى عليهما السلام فهما ينحدران كذلك في نسبهما إلى نبي الله يعقوب عليه السلام إذ أنهما ينحدران من نسل لاوى وهو أيضًا أحد الأسباط من أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام، وإن كان بينهما وبين نبي الله ما لا يقل عن ستة أجيال فهما هارون وموسى أولاد عمران بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب عليهم جميعًا السلام.

---

(١) سورة الإسراء، من الآية ٣.

وعلى ذلك فإن العذراء مريم ونبيا الله هارون وموسى عليهم جميعًا السلام ينحدران من بيت واحد هو بيت نبي الله يعقوب .. فهو عليه السلام جدهم الأكبر وإن جاءت العذراء مريم عليها السلام بعد نبيا الله هارون وموسى عليهما السلام بحوالي أربعة عشر جيلاً. وعلى ذلك فلا غضاضة ولا خطأ على الإطلاق أن تنتسب العذراء مريم إلى نبي الله هارون عليهما السلام ولا تجاوز في كلام قومها لها: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ . فكما سبق القول عن الأخوة بالدم أن العامة تعارفوا على أن أي فرد هو أخ لأي فرد قريب من العصب أي قريب من ناحية الأب مهما بعدت هذه القرابة وانحدرت إلى أي حد مهما بعدت .. ألا يعتبر المسلمون أولاد عم لليهود على أساس أن المسلمين أبناء نبي الله إسماعيل عليه السلام، واليهود أبناء نبي الله يعقوب بن إسحاق عليهما السلام على الرغم من تباعد الأصول والفروع والأجيال؟.

تبين مما سبق أن جميع الأنبياء أخوة وأن هناك علاقة قرابة بين العذراء مريم وهارون وموسى عليهم السلام على أساس أنهم جميعًا من سلالة يعقوب عليه السلام.

والعلاقة بين الطرفين مريم ابنة عمران عليها السلام وهارون وموسى عليهما السلام أقوى من ذلك بكثير ويتضح ذلك عند دراسة أوجه التشابه والتماثل بين آل عمران الأولى وهي عائلة نبيا الله هارون وموسى عليها السلام وآل عمران الثانية وهي عائلة العذراء مريم عليها السلام.

أوجه التشابه بين آل عمران الأولى وآل عمران الثانية:

وطالما أن المقصود بهارون في الآية الكريمة موضع الدراسة هو هارون النبي ابن عمران عليه السلام وطالما أن نفس الآية الكريمة تقول ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ وتقصد العذراء مريم ابنة عمران عليها السلام كما سبق إيضاحه فربما يكون من الملائم والمهم إجراء دراسة مقارنة بين آل عمران الأولى التي ينتمي إليها النبي هارون عليه السلام وآل عمران الثانية التي تنتمي إليها العذراء مريم عليها السلام لإظهار أوجه التشابه والتماثل بينهما مما يحمل على القول بأن هناك نوعًا من التآخي بين البيتين من ناحية وبين أفراد كل بيت وأفراد البيت الآخر من ناحية أخرى.

يقصد بآل عمران الأولى، بيت النبوة الكريم الذي ينتمي إليه نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام. ويقصد بآل عمران الثانية بيت النبوة الكريم الذي تنتمي إليه العذراء مريم عليها السلام.

وهناك فارق زمني بين البيتين يتراوح ما بين ستمائة إلى ألف عام، وفقًا للمراجع العلمية المختلفة.

ولقد سميت آل عمران الثانية بهذا الاسم تيمنا بآل عمران الأولى وتشبهًا بها في الصلاح والتقوى والزهادة والورع وفيما يلي مقارنة بين البيتين الكريمين لإظهار مدى التشابه والتماثل والتآخي بينهما:

١- كل من البيتين ينتمي إلى كبير د عمران:

آل عمران الأولى تنتمي إلى كبيرها عمران بن قاهث بينما تنتمي آل عمران الثانية إلى كبيرها عمران بن باشم ولقد سمي عمران الثاني هذا على اسم عمران الأول تيمنا به وتبركا، لتقواه وورعه وصلاحه فاتسم عمران الثاني بنفس الصفات، وتحلي بنفس السجايا الطيبة.

٢- كل من البيتين اتسم بالصلاح والتقوى:

اتسم كل من البيتين الطاهرين بالصلاح والتقوى وعبادة الله والدعوة إليه والتحلي بالشرف والأمانة والعفة والتميز بكل ما هو صالح وتجنب كل ما هو طالح، وهذه السمات والصفات شملت جميع أبناء البيتين الكريمين ذكورًا وإناثًا آباء وأبناء ودون استثناء.

٣- تشرف كل من البيتين بوجود أكثر من نبي من بين أبنائه.

فقد تشرفت آل عمران الأولى بوجود نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام من بين أبنائها، بينما تشرفت آل عمران الثانية بوجود أنبياء الله عيسى وزكريا ويحيي عليهم جميعًا السلام من بين أبنائها.

٤- اتسم أنبياء كل من البيتين بسمات متماثلة هي:

أ - القرابة الشديدة بين أنبياء كل بيت: فقد كان نبي الله هارون أخ شقيق لنبي الله موسى عليهما السلام بينما كان نبي الله يحيي ابن خالة نبي الله عيسى عليهما السلام، وكان نبي الله زكريا عليه السلام هو والد نبي الله يحي عليه السلام.

ب- عاش أنبياء كل بيت معًا في أرض واحدة: فقد عاش نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام في مصر وبيت المقدس، بينما عاش أنبياء الله عيسى وزكريا ويحي عليهم جميعًا السلام في بيت المقدس ودمشق.

جـ- عاش أنبياء كل بيت معا في زمن واحد: فقد عاش نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام معًا في عصر واحد، وعاش أنبياء الله عيسى وزكريا ويحي عليهم جميعًا السلام معًا في عصر واحد كذلك.

د- تعاون أنبياء كل بيت معًا من أجل الدعوة إلى الله، فقد عاون نبي الله هارون أخاه موسى عليهما السلام كثيرًا في دعوته، كما عاون نبيا الله زكريا ويحي عليهما السلام نبي الله عيسى عليه السلام في دعوته إلى الله كذلك.

٥- تشرف كل من البيتين بوجود رسول من أولي العزم من بين أبنائه:

فكان موسى عليه السلام رسول من أولي العزم من آل عمران الأولى، وكان عيسى عليه السلام رسول من أولي العزم من آل عمران الثانية.

٦- ميلاد رسول كل من البيتين كان بمعجزة إلهية عظيمة:

كان في ميلاد رسول كل بيت من البيتين الكريمين معجزة إلهية عظيمة. فقد حمى الله رسوله موسى عليه السلام من الغرق في اليم ومن القتل على يد فرعون. كما كان ميلاد رسول الله عيسى عليه السلام معجزة إلهية عظيمة إذ ولد بدون أب كما حماه الله من قتل بني إسرائيل له ولأمه والبطش بهما بعد الولادة.

٧- تشرف كل من البيتين بنزول أحد الكتب السماوية على أحد أنبيائه:

فقد نزلت التوراة على رسول الله موسى عليه السلام، بينما نزل الإنجيل على نبي الله عيسى عليه السلام.

٨- ينتمي آل كل بيت إلى نبي الله يعقوب عليه السلام :

فينحدر نسب كل بيت منهما جيلا قبل جيل إلى أن يصلا إلى نبي الله يعقوب بن إسحاق عليهم جميعًا السلام.

٩- ينحدر أفراد كل من البيتين من الأسباط:

ينحدر أفراد كل من البيتين من حيث النسب إلى الأسباط، فينحدر أصل آل عمران الأولى إلى سبط لاوى بينما ينحدر أصل آل عمران الثانية إلى سبط يهوذا.

١٠- لكل من البيتين ابنة اسمها مريم:

كان من بين أبناء كل بيت فتاة اسمها مريم. فقد كانت مريم الأولى -رضي الله عنها- من آل عمران الأولى وهي مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون عليهما السلام. وكما سبق القول هي تلك الفتاة التي قالت للقوابل والنساء الذي يخدمون آل فرعون كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[1].

وهي التي احتفلت بعد ذلك مع النسوة عندما نجى الله موسى عليه السلام وأغرق فرعون كما سبق إيضاحه. وكانت مريم الثانية من آل عمران الثانية وهي العذراء مريم أم رسول الله عيسى عليهما السلام.

١١- أُرسل أنبياء كل من البيتين إلى بني إسرائيل:

اتسم أنبياء كل بيت بأنهم أرسلوا إلى بني إسرائيل، فقد كانت دعوة رسول الله موسى وهارون عليهما السلام في بني إسرائيل، وكذلك كانت دعوة رسول الله عيسى عليه السلام ونبيا الله زكريا ويحي عليهما السلام في بني إسرائيل أيضًا.

---

(١) سورة القصص، من الآية ١٢.

١٢- أبناء كل بيت من سدنة المحراب:

فكان أبناء نبي الله هارون عليه السلام يخدمون المحراب ويقومون على رعايته وحمايته جيلاً بعد جيل. وكانت العذراء مريم عليها السلام تخدم مع أحفاد أولاد هارون عليه السلام في المحراب كذلك بعد أن كانت أمها قد وهبتها لذلك قبل ميلادها.

١٣- كان لرسول كل بيت معجزة خلق إلهية:

أجرى الله القدير معجزة خلق إلهية على يد كل منهما، فقد تحولت عصا رسول الله موسى عليه السلام إلى حية تسعى، كما كان رسول الله عيسى عليه السلام بن مريم يحيي الموتى بإذن الله.

١٤- تشرف رسول كل بيت بأن كان الكلام المعجز من بين ما اختصه الله به:

وبالفعل تشرف رسول كل بيت بأن كان الكلام المعجز من بين ما اختصه به الله عز وجل: فقد كلم رسول الله موسى عليه السلام ربه وكان معروفًا بكليم الله، بينما تكلم رسول الله عيسى عليه السلام وهو رضيع في المهد لذا كان يعرف بالصبي الذي تكلم في المهد.

١٥- كل بيت من البيتين من بين أنبيائه من صعد إلى السماء:

نعم كل بيت من البيتين الكريمين كان من بين أنبيائه من صعد إلى السماء ...!!!. فقد نام نبي الله هارون عليه السلام نومته الأخيرة وصعد به سريره إلى السماء، بينما صعد نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى السماء وفشل أعداؤه في صلبه وقتله.

١٦- يتشرف كل بيت من البيتين بأن تكون أحد بناته زوجة لرسول الله محمد ﷺ في الجنة:

حقيقة يتشرف كل بيت من هذين البيتين الشريفين بأن تكون أحد بناته زوجة لرسول الله محمد ﷺ في الجنة. فستكون كلثم ابنة عمران أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام زوجة لرسول الله ﷺ في الجنة، كما ستكون العذراء مريم أم رسول الله عيسى عليه السلام زوجة لرسول الله ﷺ في الجنة. وقد تم شرح ذلك بالتفصيل فيما سبق.

١٧- كان جوهر رسالة كل رسول من البيتين نفي الألوهية عن العباد والإقرار بالوحدانية لله:

تمثل جوهر رسالة كل رسول من البيتين بنفي الألوهية عن بعض عباد الله. فقد كان جوهر رسالة رسول الله موسى عليه السلام في نفي الألوهية عن فرعون والإقرار بالله العظيم إله ورب للكون. كذلك تمثلت جوهر رسالة رسول الله عيسى عليه السلام في نفي الألوهية عن نفسه والاعتراف بعبوديته لله وحده.

وفيما يلي جدول يوضح سمات التشابه والتماثل بين آل عمران الأولى وآل عمران الثانية:

سمات التشابه والتماثل بين آل عمران الأولى وآل عمران الثانية

آل عمران الأولى	آل عمران الثانية
١- كبيرها عمران بن قاهث.	- كبيرها عمر ان بن باشم.
٢- اتسمت بالصلاح والتقوى والورع.	- اتسمت بالصلاح والتقوى والورع.
٣- تشرفت بوجود أكثر من نبي من بين أبنائها هم موسى وهارون عليهما السلام.	- تشرفت بوجود أكثر من نبي من بين أبنائها هم عيسى وزكريا ويحيي عليهم السلام.
٤- اتسم أنبياؤها بسمات معينة منها: أ- القرابة الشديدة بين أنبيائها فقد كان موسى وهارون عليهما السلام أخوة. ب- عاش أنبياؤها معا في أرض واحدة، فقد عاش موسى وهارون عليهما السلام في مصر وبيت المقدس. ج- عاش أنبياؤها في زمن واحد فقد عاش هارون في زمن موسى عليهما السلام. د- تعاون أنبياؤها معًا في الدعوة إلى الله. فقد أعان هارون أخاه موسى عليهما السلام في الدعوة كثيرًا.	- اتسم أنبياؤها بسمات معينة منها: أ- القرابة الشديدة بين أنبيائها فقد كان عيسى ويحيي أولاد خالة وكان زكريا والد يحيي عليهم السلام. ب- عاش أنبياؤها معا في أرض واحدة فقد عاش عيسى ويحي وزكريا عليهم السلام في بيت المقدس ودمشق. ج- عاش أنبياؤها في زمن واحد فقد عاش زكريا ويحيي في زمن عيسى بن مريم عليهم السلام. د- تعاون أنبياؤها معا في الدعوة إلى الله. فقد أعان زكريا ويحيي عيسى عليهم السلام في الدعوة إلى الله.
٥- تشرفت بوجود رسول من أولي العزم من بين أنبيائها هو رسول الله موسى عليه السلام.	- تشرفت بوجود رسول من أولي العزم من بين أبنائها هو رسول الله عيسى عليه السلام.
٦- كان في ميلاد الرسول من أبنائها معجزة إلهية عظيمة. فقط حمى الله رسوله موسى من الغرق في اليم ومن القتب على يد فرعون.	- كان في ميلاد الرسول من أبنائها معجزة إلهية عظيمة. إذ حمى الله رسوله عيسى عليه السلام من القتل والبطش به وبأمه عليها السلام.

سمات التشابه والتماثل بين آل عمران الأولى وآل عمران الثانية (تابع -١-)

٧- تشرفت بنزول التوراة على رسول من أبنائها هو موسى عليه السلام.	- تشرفت بنزول الإنجيل على رسول من أبنائها هو عيسى عليه السلام.
٨- ينتمي آل هذا البيت إلى نبي الله يعقوب عليه السلام.	- ينتمي آل هذا البيت إلى نبي الله يعقوب عليه السلام.
٩- ينحدر آل هذا البيت إلى الأسباط، فينحدر إلى لاوى بن يعقوب.	- ينحدر آل هذا البيت إلى الأسباط، فينحدر إلى يهوذا ابن يعقوب.
١٠- من بين آل هذا البيت فتاة اسمها مريم ابنة عمران هي اخت موسى عليه السلام.	- من بين آل هذا البيت فتاة اسمها مريم ابنت عمران هي أم عيسى عليه السلام.
١١- أرسل أنبياء هذا البيت إلى بني إسرائيل .. فقد كانت دعوة موسى وهارون عليهما السلام في بني إسرائيل.	- أرسل أنبياء هذا البيت إلى بني إسرائيل .. فقد كانت دعوة عيسى ويحيى عليهما السلام في بني إسرائيل.
١٢- كان أبناء هذا البيت من سدنة المحراب جيلا بعد جيل فقد اختص الله بذلك أبناء هارون عليه السلام.	- كان من أبناء هذا البيت من سدنة المحراب .. فقد كانت مريم العذراء خادمة المحراب وتقوم على رعايته مع أبناء هارون عليه السلام.
١٣- كان لرسول هذا البيت معجزة خلق إلهية أجراها الله على يديه فقد تحولت عصا موسى عليه السلام إلى ثعبان.	- كان لرسول هذا البيت معجزة خلق إلهية أجراها الله على يديه عدة مرات فقد كان رسول الله عيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله.
١٤- تشرف رسول هذا البيت بأن كان الكلام المعجز من بين ما اختصه الله به فكلم رسول الله موسى عليه السلام ربه.	- تشرف رسول هذا البيت بأن كان الكلام المعجز من بين ما اختصه به الله، فكلم عيسى عليه السلام الناس في المهد.
١٥- أحد أنبياء هذا البيت صعد إلى السماء. فقد صعد نبي الله هارون بسريره إلى السماء بعد موته.	- أحد أنبياء هذا البيت صعد إلى السماء، فقد صعد نبي الله عيسى عليه السلام إلى السماء قبل ان يُصلب أو يقتل.

١٦- يتشرف آل هذا البيت بأن رسول الله محمد ﷺ يتزوج أحد بناته في الآخرة .. فيتزوج الرسول ﷺ كلثم بنت عمران.	- يتشرف آل هذا البيت بأن الرسول ﷺ يتزوج أحد بناته في الآخرة، فيتزوج الرسول ﷺ العذراء مريم ابنة عمران عليها السلام.
١٧- كان جوهر رسالة رسول هذا البيت نفي الألوهية عن بعض عباد الله، والإقرار بها لله، فقد كان جوهر رسالة موسى عليه السلام هو نفي الألوهية عن فرعون والإقرار بأن الله هو رب هذا الكون.	- كان جوهر رسالة رسول هذا البيت نفي الألوهية عن بعض عباد الله والإقرار بها لله، فقد كان جوهر رسالة عيسى عليه السلام هو نفي الألوهية عن نفسه والاعتراف بعبوديته لله الواحد الأحد.

التآخي بين البيتين وأفرادهما

مما سبق يتبين التشابه الكبير والتماثل الشديد بين أفراد ونسب وسلوك كل بيت من البيتين السابقين آل عمران الأولى وآل عمران الثانية. ويتبين كذلك التشابه الكبير في حظوظ كل بيت من النبوة والرسالات السماوية وكذلك التماثل الكبير في حظوظ كل بيت من فيوضات الله النورانية .. كل هذا التماثل بين البيتين يحمل على الاعتقاد بأن كل أسرة منهما كانت شقيقة للأسرة الأخرى سواء بالنسبة للأسرة ككيان واحد أو بالنسبة لأفرادها. كل أسرة كانت شقيقة للأخرى من حيث التماثل والتشابه. وهذا النوع من الأخوة سبق الحديث عنه وإيضاحه.

وعلى ذلك ومن كل ما تقدم فلا عجب أن وصف أحد أفراد أسرة ما بأنه أخ لأي من أفراد الأسرة الأخرى؛ لذا فقد كان طبيعياً أن يقول قوم مريم العذراء عليها السلام لها: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وهم في هذه الحالة أخوة في التماثل والتشابه من حيث السمات والصفات والنسب والسلوك. فإذا كان لمريم العذراء عليها السلام أن تتخذ أخًا لم تلده أمها فسيكون حتمًا من بين أفراد أسرة آل عمران الأولى !!.

العذراء مريم وهارون عليهما السلام أخوة من عدة وجوه:

١- أخوة الدم:

والأسباط هم أبناء نبي الله يعقوب عليه السلام وأخوة نبي الله يوسف عليه السلام والذين تآمروا عليه وألقوه في غيابة الجب فالتقطه بعض السيارة وحدث بعد ذلك ما حدث من قصة نبي الله يوسف عليه السلام.

والأسباط هم لاوى ونفتالي وجاد ودان وإيسافر وأشير وزوبلون وشمعون ويهوذا ورؤبيل وبنيامين.

والأسباط هم أصل ذرية بني إسرائيل، وطالما أنهم جميعا أخوة فإن بني إسرائيل يعتبرون ذريتهم جميعا أخوة كذلك. إذ أن أفراد ذرياتهم تعتبر - لبعضها البعض - أبناء عمومة. ومن ثم فبني إسرائيل الذين هم من أصل هذه الذريات لا يفرقون بين أي فرد من ذريات هؤلاء الأسباط ويعتبرونهم جميعا أخوة ولما كان النبي هارون عليه السلام من ذرية لاوي بن يعقوب وكانت مريم ابنة عمران عليها السلام من ذرية يهوذا ابن يعقوب فهم أبناء عمومة، ومن ثم فيعتبر كل منهما أخ للآخر مهما بعدت بهم السنين، إذ أن أصلهما واحد.

٢- أخوة النبوة:

واضح كذلك التآخي بين البيتين وأفرادهما من حيث الأخوة في النبوة فكما سبق القول فإن الحديث الشريف[1] يؤكد أن جميع الأنبياء أخوة من علات وأمهاتهم شتى ومن ثم فجميع أبناء آل عمران الثانية هم أخوة في النبوة لجميع أبناء آل عمران الأولى.

٣- أخوة الدين:

كذلك فإن جميع الأنبياء أخوة في الدين؛ إذ أن دينهم واحد هو الإسلام، وهذا ما أكده الله ﷻ بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[2] وأن سلالة الأنبياء كلها

---

(١) مسلم (مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، مرجع سابق، باب فضائل عيسى عليه السلام، الجزء الخامس، عام ١٣٣٢هـ، ص٢١٥.

(٢) سورة آل عمران، من الآية ١٩.

جاءت نبي بعد آخر، كل منهم يضع لبنة في دين الله الواحد وهو الإسلام، فأبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كان مسلمًا وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) ومن ثم كانت كل ذريته مسلمة ومنها نبي الله يعقوب وهذا واضح من مناقشته أمر العبادة مع بنيه عندما حضره الموت كما جاء بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢).

وإذا كان كل من آل عمران الأولى وآل عمران الثانية من سلالة الأسباط الذين هم من سلالة يعقوب فأفراد كل من البيتين أخوة في الدين والإسلام.

٤- أخوة الإيمان:

كذلك فأفراد آل عمران الأولى وآل عمران الثانية أخوة في الإيمان فأنبياء كل من البيتين الكريمين كان هدفهم الدعوة إلى الإيمان بالله، وهم جميعًا شركاء في ذلك، ويكمل بعضهم البعض، ومن ثم فجميع الأنبياء أخوة في الإيمان.

٥- أخوة المعايشة:

وإذا كانت ذرية أنبياء آل عمران الأولى خاصة ذرية نبي الله هارون عليه السلام كانت تخدم في المحراب، وإذا كانت ذرية آل عمران الثانية وخاصة العذراء مريم كانت تخدم في المحراب كذلك... فيمكن القول بأن ذرية أفراد البيتين الطاهرين كانوا أخوة في المعايشة كذلك فقد تعايشوا سويًا وخدموا المحراب معًا وشاركوا بعضهم البعض معيشتهم وعاشوا معًا أفراحهم وأتراحهم واكتسب جميع الأخوة صفات الصلاح والتقوى.

٦- أخوة الإنسانية:

وأخيراً فإن جميع أفراد البيتين الكريمين أخوة في الإنسانية التي كانت رسالتهم ونبوتهم من أجل إعلاء شأنها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٣.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه تلقائيًا الآن هو:

لماذا قيل يا أخت هارون ولم يقال يا أخت موسى؟

وبالبحث والدراسة تبين أن هناك عدة أسباب جوهرية لاختيار قوم مريم عليها السلام نبي الله هارون عليه السلام ليكون أخًا لها، وفيما يلي دراسة هذه الأسباب:

١- نبي الله هارون عليه السلام كان الأكبر سنًا:

بمراجعة كتب تاريخ الأنبياء وبعض المراجع الإسلامية المختلفة يتبين أن نبي الله هارون عليه السلام كان أكبر سنًا من رسول الله موسى عليه السلام. إذ أن نبي الله هارون عليه السلام وُلد قبل رسول الله موسى عليه السلام بعام على الأقل ويتضح ذلك من خلال جانب من قصة فرعون مصر في زمانهما على النحو التالي:

كان فرعون مصر ملكًا متجبرًا وعاتيًا وطاغيًا وباغيًا، وآثر حياة الترف والنعيم، وأعرض عن طاعة ربه، بل وادعى أنه الرب الأعلى. ولقد فرق فرعون بين رعيته وجعل أهلها شيعًا، فقسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع وكان يستضعف طائفة منهم هم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. (انظر شجرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام).

وعلى الرغم من أن بني إسرائيل كانوا حينئذ خير أهل الأرض إلا أن هذا الفرعون الظالم الكافر سُلط عليهم فكان يستعبدهم ويمتهنهم في أخس المهن وأسوأ الحرف وأدناها.

ولقد كان الدافع لفرعون لمعاملة بني إسرائيل هذه المعاملة المهينة أنه كان يتردد بين بني إسرائيل نبوءة مؤداها أن الله سيخرج من ذرية رسول الله إبراهيم عليه السلام غلامًا يكون على يديه هلاك ملك مصر وذلك ردًا على ما كان يريده ملك مصر من سوء لسارة زوجة رسول الله إبراهيم عليه السلام إلا أن الله القادر نجاها منه.

وكانت هذه النبوءة مشهورة بين بني إسرائيل، وتحدث بها القبط من أهل مصر فنمى علمها إلى فرعون الظالم فأمر بقتل كل أبناء بني إسرائيل من الذكور وترك إناثهم حتى يتجنب حدوث هذه النبوءة ويستخدم نساءهم كجواري وتشغيلهم في أخس الأعمال. ولقد جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

وفيما بعد بدأ القبط يشكون إلى فرعون قلة أبناء بني إسرائيل بسبب قتل مواليدهم وأنهم لم يعودوا قادرين على القيام بالأعمال والمهن الدنيئة التي يتعين على بني إسرائيل القيام بها مما سيضطرهم إلى أن يضطلعوا هم بأدائها. فخفف فرعون من أمره السابق فأمر بقتل المواليد عام وترك المواليد عام فكان أن ولد نبي الله هارون عليه السلام في عام الإعفاء من القتل، وولد رسول الله موسى عليه السلام في العام التالي .. عام الذبح!!.

وبذلك يكون النبي هارون عليه السلام أكبر سنًا من رسول الله موسى عليه السلام بعام على الأقل.

ولقد جرى العرف بأن ينادى على الوالد باسم ابنه الأكبر فإذا كان أكبر أولاد الأسرة اسمه أحمد مثلاً فيقال لرب الأسرة أبو أحمد كما يقال لأي ابن في الأسرة بأخو أحمد. وينسب أفراد الأسرة إلى الابن الأكبر سنًا بصرف النظر عن منزلته أو قدره بين أفراد أسرته. فقد يكون من بين أبناء الأسرة من يشغل مركزًا مرموقًا أو يحمل مؤهلا رفيعا إلا أن ذلك لا يؤثر على انتساب أفراد الأسرة إلى الابن الأكبر وليس الابن المرموق.

ومما سبق فليس هناك غرابة أو استهجان عندما تُنسب مريم أم عيسى عليه السلام ابنة آل عمران الثانية بالأخت للنبي هارون عليه السلام بن آل عمران الأول ولا تنسب إلى رسول الله موسى عليه السلام.

(١) سورة القصص، الآية ٤.

٢- التشابه يكون بين متماثلي الدرجات:

سبق الذكر بأن مريم العذراء عليها السلام ابنة عمران والدة رسول الله عيسى عليه السلام كانت صديقة وليست إلهة وقد اعتبرها البعض نبية وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١) لكن هذا وإن دلّ على شيء فإنما يدل على أنها كانت أفضل نساء العالمين ممن كن قبلها أوجد بعدها، لكن ما قاله أبو الحسن الأشعري وغيره من أهل السنة والجماعة من أن النبوة لا تكون إلا في الرجال وليس النساء، فيكون أعلى مقامات مريم كما سبق القول صديقة وفي مرتبة الأنبياء وإن لم تكن نبية. وطالما أن المقام مقام أخوة بالتشابه والتماثل فقد كان من المنطقي أن يشبهها قومها بهارون نبي الله عليه السلام وليس بموسى رسول الله عليه السلام.. إذ أن هارون عليه السلام كان نبيًا بينما كان موسى عليه السلام رسولاً ومن أولي العزم وهي رتبة عالية بين الرسل.

٣- موقف العذراء مريم عليها السلام كان يحتاج إلى هارون عليه السلام الذي يتسم بحسن التصرف واللطف في التعامل:

موقف العذراء مريم وهي تحمل وليدها بدون زوج هو موقف ينطوي على فتنة كبيرة تتطلب حسن التصرف واللطف في التعامل وكان نبي الله هارون عليه السلام هو من يستطيع التعامل مع هذا الموقف؛ لأنه يفهم جيدًا حكمة الله عز وجل من اختباراته في هذه الفتن. فعندما عبد بني إسرائيل العجل فهم نبي الله هارون عليه السلام أن هذه فتنة من الله فقال كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ ﴾ (٢) أي إنما هذا اختبار منك يا رب وابتلاء وامتحان، فأنت يا رب الذي خلقت هذا وما كان من أمر العجل. ولهذا قال: ﴿ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ﴾ (٣) أي من شئت يا رب أضللته باختبارك إياه، ومن شئت هديته، لك الحكم والمشيئة ولا مانع ولا راد لما حكمت وقضيت.

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٢.
(٢) سورة الأعراف، من الآية ١٥٥.
(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٥٥.

ونفس الحال كان في فتنة ميلاد رسول الله عيسى بن مريم -عليهما السلام- بدون أب إذ كان الموقف يحتاج إلى رجل مثل نبي الله هارون عليه السلام، ليفهم حكمة الله ﷻ واختباره لقوم مريم أم عيسى عليهما السلام فيوضح ذلك لقومها فيؤمنوا بقدرة الله، ولا يضلون بسبب العذراء مريم في شرفها المصون.

٤- عرف أبناء هارون عليه السلام بأنهم من الأكثر غيرة على العرض والشرف وكان الموقف يستلزم ذلك:

عرف أبناء نبي الله هارون عليه السلام وذريته بأنهم من أشد البشر غيرة على العرض والشرف. فقد قتل فنحاص بن إلعازر بن هارون الزانية والزاني في قصة بلعام بن باعوراء مع بني إسرائيل، والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[1]

وفي هذه القصة قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره أنه كان رجل من بيت المقدس يعلم الاسم الأعظم لله ﷻ، وإن قومه سألوه أن يدعو على موسى رسول الله عليه السلام وقومه، فرفض إلا أنهم ضغطوا عليه وألحوا فركب حماره كانت له وسار تجاه معسكر بني إسرائيل، فلما اقترب منهم ربضت به حمارته، ورفضت استكمال المسير فضربها، حتى قامت وسارت قليلا، وربضت ثانية فضربها ضربًا شديدًا، فقامت ثم ربضت فضربها فقالت له: يا بلعام .. أين تذهب؟ أما ترى الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا؟... أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعوا عليهم؟ فلم يأبه بها فضربها حتى سارت به، حتى أشرف على بني إسرائيل من جبل (حسبان)، ونظر إلى معسكر موسى عليه السلام وبني إسرائيل فأخذ يدعو عليهم، إلا أن لسانه لم يستجب له وأخذ يدعو لهم ويدعو على قومه هو، فلامه قومه على ذلك، فاعتذر إليهم وقال لهم إن ذلك كان

(١) سورة الأعراف، الآيات من ١٧٥ إلى ١٧٧.

رغماً عنه، ووقع لسانه على صدره، فقال لقومه: لقد خسرت الآن الدنيا والآخرة ولم يبق لي إلا الحيلة !

وتمثلت حيلته في أنه أمر قومه أن يزينوا النساء ويبعثوا بهن بالأمتعة يبعن لبني إسرائيل ويتعرضن لهم لعل بني إسرائيل يقعون في الزنا، فإن زنى بنو إسرائيل انتصرتم عليهم . ففعلوا وزينوا نساءهم وبعثوهن إلى معسكر بني إسرائيل، فمرت امرأة منهن اسمها (كسبتي) برجل من عظماء بني إسرائيل اسمه (زمري بن شلوم) وكان رأس سبط بني شمعون بن يعقوب عليه السلام، فدخل بها خيمته ليواقعها فلما زنا بها أرسل الله الطاعون على بني إسرائيل وانتشر فيهم ! فلما بلغ الخبر أحد ذرية نبي الله هارون عليه السلام وهو فنحاص بن إلعازر بن هارون أخذ حربته الحديد ودخل على الزانية والزاني الخيمة فقتلهم بها، ثم خرج على الناس ومعه القتيلان ورفعهما إلى السماء وأخذ يقول: (اللهم ... هكذا نفعل بمن يعصيك) فرفع الله الطاعون عن بني إسرائيل وعفا عنهم.

وطالما أن الموقف الذي وقفته العذراء مريم ووليدها عيسى عليهما السلام كان موقف أدى بقومها من بني إسرائيل إلى الاعتقاد بأنها زنت وبأن ذلك سوف يجلب غضب الله على بني إسرائيل، فقد فكروا فيمن يرفع عنهم هذا البلاء ويزيل عنهم غضب الرب كما تصوروا. وكان في وجدانهم ذرية نبي الله هارون عليه السلام التي تشجب الزنا وتكافحه متمثلة في فنحاص، ومن ثم نادوها بأخت هارون عليه السلام طالبين من تبقى من ذريته من يغير على شريعة الله ويعالج الموقف على نحو ما فعل السلف الصالح.

٥- عرف نبي الله هارون عليه السلام بأنه ممن يشد به الأزر، ويعين على المواقف الصعبة وكان الموقف يستلزم ذلك:

كذلك اشتهر نبي الله هارون عليه السلام بأنه ممن يشد به الأزر، ويعين على المواقف الصعبة، إذ أنه فعل ذلك مع أخيه رسول الله موسى عليه السلام، وقد كان رسول الله موسى

يعرف عنه هذه المزية؛ لذا فقد طلب من ربه أن يشد أزره بأخيه وذلك على نحو ما جاء في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[1] .

ولقد أدى نبي الله هارون أدوارًا هامة في الدعوى إلى الله، ليساعد أخاه على نجاح مهمته، من ذلك ما كان منه حين تركه أخوه مع بني إسرائيل وذهب إلى ميقات ربه. وهذا واضح من قوله ﷻ: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

٦- عرف نبي الله هارون عليه السلام بحكمته في إدارة الأزمات:

ومما يدلل على ذلك هو حسن تصرفه ورفقة ببني إسرائيل حين عبدوا العجل إذ قال لهم هارون عليه السلام إنكم فتنتم بهذا العجل، ويقصد أن الله قد قدر أمر هذا العجل المصنوع من الذهب وجعله يخور، ليكون ذلك فتنة واختبارًا لبني إسرائيل، وذلك على نحو ما جاء بالقرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ﴾[3].

هنا وفي هذا الموقف تصرف نبي الله هارون عليه السلام على نحو سليم إذ أنه أوضح لبني إسرائيل أنهم في فتنة، وأنه لا ينبغي لهم عبادة هذا العجل بل عبادة الله الرحمن، وأن عليهم أن يتبعوه ويطيعوا أمره، وذلك كما قال الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي ﴾[4].

وكفى أن الله يشهد له بكل هذه الجهود، وبأنه نهاهم وزجرهم عن ذلك، فلم يطيعوه ولم يتبعوه، لكنه لم يذهب إلى أخيه عليه السلام ليخبره خوفًا من أن يقول له فرقت

---

(١) سورة طه، الآيات ٢٩-٣٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٤٢.
(٣) سورة طه، من الآية ٩٠.
(٤) سورة طه، من الآية ٩٠.

بين بني إسرائيل يتركهم وحدهم والذهاب إلى وهذا واضح من قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾[1].

فقال على نحو ما ورد في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[2] أي تركتهم وجئت إلي وأنت استخلفتني فيهم.

وواضح مما سبق أن نبي الله هارون عليه السلام كان يتسم بالكياسة والحكمة في معالجة الأزمات، ومن ثم استدعى قوم العذراء مريم ذلك من ذاكرتهم وشبهوها به بقولهم: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ بقصد القول إنك تحتاجين إلى حكمه هارون في هذا الموقف .. هل تذكرين؟!!.

٧- نبي الله هارون عليه السلام كان طيب القلب يحبه بني إسرائيل:

اشتهر نبي الله هارون عليه السلام بطيبة القلب وبحب بني إسرائيل له وبتبجيله وإجلاله، وهذا ما دعا رسول الله موسى عليه السلام أن يستخلفه على شعب بني إسرائيل .. إذ أنه كان أكف عنهم وألين لهم، ومن ثم فهو الأكثر ملائمة؛ لأن يشبه قوم مريم العذراء ابنتهم مريم -عليها السلام- به، فيقولوا لها: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ على أساس ما عرف عنها عليها السلام بطيبة القلب ونقاء السريرة.

وعلى غير الحال كان رسول الله موسى عليه السلام، فقد كان في طباعه بعض الغلظة التي ربما تكون حائلاً دون حبه والالتفاف حوله على النحو المنشود، ومن ثم فلا مجال لاستبدال رسول الله موسى عليه السلام بنبي الله هارون عليه السلام حين الحديث عن المؤاخاة.

وحقيقة لم يكن بنو إسرائيل فقط هم الذين يحبون هارون عليه السلام أكثر من موسى عليه السلام بل كان هذا هو شعور كل من يعرفه ولم لا؟ ... ألم يذكر السحرة اسمه

---

(١) سورة طه، الآيتين، ٩٢-٩٣.

(٢) سورة طه، الآية ٩٤.

عليه السلام قبل اسم نبي الله موسى عليه السلام عندما آمنوا بالله ﷻ في واقعة العصا التي تحولت إلى ثعبان وذلك بقولهم: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[1].

٨- تضمنت ذرية نبي الله هارون عليه السلام أنبياء وذلك على غير الحال بالنسبة لذرية نبي الله موسى عليه السلام .

وواضح من شجرة الأنبياء أن ذرية نبي الله هارون عليه السلام تضمنت أنبياء منهم شموئيل وإلياس والعزير عليهم السلام ومن ثم فهم الأجدر أن تتشبه العذراء مريم عليها السلام بهم وبالتالي والدهم ومن ثم فلا عجب أن يشبهها قومها بهارون عليه السلام أو بذريته فيقولوا لها ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ بينما لم يحظ رسول الله موسى عليه السلام من بين أبنائه على نبي يكمل جهوده الدعوية. فقد كان لرسول الله موسى عليه السلام ولدان هما جرشون وعازر إلا أنهما لم يكن لأي منهما دور في الدعوة إلى الله ﷻ أو مساعدة والدهم أو إكمال رسالته، بل إن من أكمل رسالته ودخل بيت المقدس ببني إسرائيل بعده هو فتاه يوشع بن نون عليه السلام الذي اصطحبه خلال سفره إلى عبد الله الخضر عليه السلام ولم يكن يوشع بن نون ابنا له بل كان تلميذه، وتحمل المسئولية بعد يوشع كالب بن يوفنا زوج مريم أخت نبيا الله موسى وهارون عليهما السلام.

وعلى ذلك لم يخطئ قوم مريم عليها السلام إذ شبهوها بهارون عليه السلام، فقد لعب أبناء هارون دورًا كبيرًا في الدعوة إلى الله، إذ كان منهم الأنبياء، وذلك على نفس الحال بالنسبة للدور الذي هيأه الله لها ولابنها عليهما السلام، بينما لم يكن لذرية رسول الله موسى عليه السلام أي دور مماثل.

٩- عرف نبي الله هارون عليه السلام بفصاحة اللسان والقدرة على الإقناع وكان الموقف يتطلب من يدافع عن العذراء مريم ووليدها عليهما السلام:

اتسم نبي الله هارون عليه السلام بفصاحة اللسان وقدرته على الحوار والإقناع وذلك على غير الحال مع رسول الله موسى عليه السلام وذلك ما حدا بموسى عليه السلام أن يطلب من ربه أن يرسل مع أخيه هارون عليه السلام إلى فرعون حيث إنه أفصح منه لسانًا وقد جاء

(١) سورة طه، من الآية ٧٠

ذلك قوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[1]

وتدل هذه الآيات على أن نبي الله موسى عليه السلام خاف حين أمره الله ﷻ بالذهاب إلى عدوه فرعون الذي خرج من ديار مصر فارًا من سطوته وجبروته وظلمه، فطلب من ربه أن يساعده بأن يرسل معه أخاه هارون عليه السلام حيث إنه أكثر منه قدرة على الحوار والإقناع فاستجاب له ربه وأيده بأخيه، وضمن لهم الغلبة والقدرة فلا يصل إليهم فرعون أو أي من قومه بأي أذى، وضمن لهم النصر في مهمتهم الخطيرة بسبب قيامهما بآيات ربهما ﷻ وببركة تلك الآيات.

والسبب في عدم قدرة رسول الله موسى عليه السلام على الحوار والجدل والبيان على نحو واضح مثل أخيه هارون عليه السلام، هو أنه كان قد أصيب في لسانه بلثغة إبان أن كان طفلاً صغيرًا وعلة ذلك أنه في ذات يوم أخذ بلحية فرعون، فهم الظالم أن يقتله فخافت عليه آسية زوجة فرعون رضي الله عنها وقالت لفرعون إنه طفل صغير لا يدرك فلا تقتله أو تعاقبه. فأراد فرعون اختبار قدرته على الفهم والتمييز فاختبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ التمرة فصرف فرعون يده إلى الجمرة، فأخذها ووضعها على لسانه فأصابته لثغة بسببها فلما كبر رسول الله عليه السلام، سأل ربه زوال بعضها بالقدر الذي يمكن للناس أن يفهموه ولم يسأل زوالها بالكلية؛ لذا فقد سأل رسول الله موسى عليه السلام ربه ﷻ أن يساعده ويهون عليه الأمر وييسره وأن يفك عقدة لسانه ليفهم فرعون وقومه ما يقول وذلك على نحو ما جاء بالقرآن الكريم بقوله ﷻ: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾[2].

وبالعودة إلى موقف العذراء مريم عليها السلام بعد أن أتت قومها تحمل وليدها رسول الله عيسى عليهما السلام، يتبين أن الموقف كان يحتاج إلى من يشرح ما حدث ويجادل قوم مريم ويحاول إقناعهم بمعجزة ربها ويدافع عنها وعن وليدها، بالحوار والاقتناع، وخاصة أن العذراء مريم عليها السلام لم تكن تتكلم هذا اليوم، إذ

(١) سورة القصص الآيات ٣٣-٣٥.

(٢) سورة طه، الآيات ٢٤-٢٨.

أنها كانت قد نذرت للرحمن صومًا عن الكلام وألا تتكلم في هذا اليوم أي من البشر وذلك على نحو ما جاء في القرآن الكريم في قوله ﷻ: ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[1].

وبالنظر إلى ظروف العذراء مريم ووليدها عليهما السلام، وبالنظر إلى حاجتها للدفاع عن نفسها ووليدها عنها بالإقناع والحوار، فلم يكن بقوم العذراء مريم من بني إسرائيل من هو أفضل من هارون عليه السلام نبي الله المعروف عنه بقدرته على الحوار والإقناع، ليشبهوها به طالبين منها أن تدافع عن نفسها ووليدها بالحوار والإقناع على نحو ما فعل هارون عليه السلام نبي الله ﷻ من حوار مع فرعون مصر وليس الصمت.

١٠- تعتبر العذراء مريم أختا لأولاد هارون عليهم السلام في النبوة والإيمان والقوم والعشيرة والمعايشة والإنسانية وأختهم بالتشابه والتماثل:

اختص الله ﷻ ذرية نبي الله هارون عليه السلام بالكهانة دون غيرهم من بني إسرائيل. فقد أمر الله موسى عليه السلام بعمل قبة من الخشب والذهب وجلود الأنعام وشعر الأغنام بمواصفات معينة كما أمره الله ﷻ بعمل تابوت من الخشب والذهب وبمواصفات معينة كذلك، كما أمره أيضًا بعمل مائدة من الخشب والذهب وبمواصفات معينة كذلك. ولقد نصبت هذه القبة والتابوت وكانت هذه القبة كالكعبة يصلي فيها بنو إسرائيل ويصلون إليها ويتقربون عندها، وكان الله يكلم موسى عليه السلام وهو واقف عند التابوت، فإذا انتهى الخطاب يخبر نبي الله موسى عليه السلام بني إسرائيل بما أوحاه الله ﷻ إليه من الأوامر والنواهي. وكان بنو إسرائيل إذا تحاكموا إلى نبي الله موسى عليه السلام في أمر ما وليس لديه إجابة أو ليس عنده من الله ﷻ شيء في هذا الموضوع يحضر إلى قبة الزمان ويقف عند التابوت فيأتيه الخطاب من الله ﷻ بما فيه فصل هذا الأمر[2].

وظلت قبة الزمان مع بني إسرائيل في التيه، يصلون إليها وهي قبلتهم وكعبتهم، وكان أمامهم كليم الله موسى عليه السلام، ومقدم القربان أخوه هارون عليه السلام، فلما

---

(١) سورة مريم، من الآية ٢٦.

(٢) ابن كثير (إسماعل بن كثير القرشي الدمشقي)، قصص الأنبياء، مرجع سابق.

مات هارون عليه السلام ثم موسى عليه السلام استمر بنو هارون عليه السلام في الذي كان يليه أبوهم من تقديم القرابين واستمروا في ذلك حتى الآن.

ولقد كان الله قد أمر نبيه موسى عليه السلام أن يجند بني إسرائيل وأن يجهزهم للقتال وأن يولي عليهم نقباء نقيباً على كل سبط من الأسباط الإحدى عشرة وأضاف إليهم سبط نبي الله يوسف عليه السلام، إلا أنه استثنى منهم سبط بنو لاوي، وهم سبط موسى وهارون عليهما السلام.

استثنى الله بنو لاوى من التجنيد الإجباري هذا؛ وكان السبب هو أنهم موكلون بحمل قبة الشهادة وخزنها ونصبها وحملها عند الارتحال، وكانوا قبائل من كل قبيلة طائفة منهم تحرس قبة الزمان هذه وتحفظها، ويقومون بمصالحها ونصبها وحملها وهم حولها ينزلون ويرتحلون أمامها ويمنتها وشمالها وخلفها.

ولقد أمر الله ﷻ موسى عليه السلام بأن يجعل الكهانة في بني هارون عليه السلام من سبط بني لاوي، كما كانت لأبيهم من قبلهم، وهم ناداب كبيرهم وأبيهو وإلعازر ويثمر. (انظر شجرة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام).

وبالنظر إلى العذراء مريم ابنة عمران عليها السلام وكما سبق القول كان والدها هو صاحب صلاة بني إسرائيل في أيامه، وكانت أمها من العابدات وكانت قد وهبتها للخدمة في المحراب كما سبق القول، فتقبلها ربها على نحو ما ذكر في قوله ﷻ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[1].

فلما وضعتها أمها لفتها في أقمشتها وخرجت بها إلى المحراب، فسلمتها إلى عباد الله المقيمين به، وهم من ذرية نبي الله هارون عليه السلام السابق الحديث عنهم، فرحبوا بها وتنازعوا فيها، إذ أنها كانت ابنة إمامهم، وصاحب صلاتهم، وطلب كل منهم أن يكفلها. إلا أن نبي الله زكريا وزوج خالتها أراد أن يفوز بكفالتها على أساس أن زوجته خالتها، إلا أن العابدين في المحراب تنازعوا معه في ذلك وطلبوا أن يقترع

(١) سورة آل عمران، من الآية ٣٧.

فساعده الله ﷻ وفاز بالقرعة ففاز بكفالتها. وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1].

نشأت العذراء مريم عليها السلام وسط هذا الجو الديني المفعم بالإيمان وسط ذرية نبي الله هارون عليه السلام، فنشأت فتاة صالحة تقية وصارت أختًا لهم وصار كل منهم أخًا لها.. أخوة في النبوة، فهم من بيت نبوة وأولاد نبي هو هارون عليه السلام، فالنبوة تظللها وتظللهم، وهي بالإضافة إلى ذلك أختهم في الإيمان وأختهم في القوم والعشيرة وأختهم في المعايشة وأختهم في الإنسانية وقبل كل ذلك وبعده أختهم بالتشابه والتماثل فقد صارت العذراء مريم واحدة منهم تماثلهم في التقوى والصلاح والعفة والطهارة. لذا فلا عجب إذ قال قومها لها ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ فهي أخت هارون عليه السلام وأخت لكل فرد في ذريته.

فضل القرآن الكريم على غير المسلمين:

والآن، وبعد أن تم دحض ادعاء البعض من غير المسلمين بخطأ القرآن الكريم فيما يتعلق بقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾، ربما كان ملائما إظهار جانب بسيط من جوانب فضل القرآن الكريم على غير المسلمين. وفيما يلي نتناول ذلك في عجالة:

أولاً: فضل القرآن الكريم على اليهود:

للقرآن الكريم فضل كبير على معتنقي اليهودية، ويمكن إيضاح بعض ذلك في النقاط التالية:

١- ذكر قصة ميلاد رسول الله موسى عليه السلام وإظهار مراحل نشأته وإظهار أهميته كأحد الرسل من أولي العزم وبيان أهمية دعوته الإيمانية.

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٤.

٢- ذكر قصة ظلم فرعون مصر لبني إسرائيل وإيضاح كيف نصرهم الله ونجاهم من الغرق في اليم وإغراق فرعون وجنوده فيه.

٣- ذكر قصص أنبياء بني إسرائيل وإظهار سمو دعوتهم إلى الله.

٤- ذكر مخالفات بني إسرائيل لأوامر الله وإتيانهم نواهيه مما يمكن أن يكون إنذارًا لهم للرجوع إلى الله وإتباعهم الإيمان الصحيح والعودة إلى جادة الصواب.

ثانيًا: فضل القرآن الكريم على المسيحيين:

وللقرآن الكريم فضل كبير كذلك على معتنقي المسيحية ويتضح بعضًا من ذلك في النقاط التالية:

١- إظهار براءة العذراء مريم البتول عليها السلام من تهمة الزنا، والاعتراف بمنزلتها السامية عند ربها وبيان أنها خير نساء العالمين.

٢- منح شهادة ميلاد للسيد المسيح عليه السلام وإظهار نقاء منبعه، وإظهار مكانته السامية عند ربه وبيان هويته الحقيقية الشريفة، فهو عبد لله ورسول من أولي العزم آتاه الله الإنجيل وهو مبارك أينما كان، وبالتالي فميلاده ميلاد كريم معجز، وليس ابن زنا كما زعم اليهود، كما أنه ليس إله كما زعم النصارى.

٣- إظهار طبيعة معتنقي المسيحية الودية وبيان أنهم أقرب الناس مودة للمسلمين.

٤- إظهار أهمية تصحيح بعض المعتقدات لدى المسيحيين ليحسن إيمانهم بالله ليعودوا إلى الحق المبين.

٥- أمر المسلمين بالدعوة إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يتم الحوار والجدال بالأسلوب الأحسن مع غير المسلمين، وعدم إتباع العنف في سبيل ذلك إلا إذا تعرضوا له. وبالتالي فالقرآن الكريم يحض المسلمين على التعايش مع الجميع من غير المسلمين بالمودة والحب والأمان.

المراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود الدين محمود الألوسي البغدادي)، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) ابن الأندلسي (الغرناطي الحياتي)، تفسير البحر المحيط، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، عام ١٩٦٨م.

(٤) البرسوي (إسماعيل حقي)، تفسير روح البيان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٥) البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود)، (معالم التنزيل)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٦) البيضاوي (محمود محمد بن عمر)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير، ديار بكر، تركيا.

(٧) التوحيدي (أبو حيان)، تفسير النهر الماد «ضمن البحر المحيط»، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، عام ١٩٦٨م.

(٨) الجمل (عمر العجيلي الشافعي)، تفسير الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

(٩) ابن أبي حاتم، تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

(١٠) الخازن (علاء الدين علي محمد بن إبراهيم البغدادي)، لباب التأويل.

(١١) الرازي (فخر الدين)، التفسير الكبير (المعروف بمفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.

(١٢) الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، لبنان، طبعة حديثة منقحة.

(١٣) رشيد رضا (محمد رشيد رضا)، تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)، طباعة دار المنار بالقاهرة، الناشر دار المعرفة، الطبعة الثانية عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧، النشر عام ١٩٧٣م.

(١٤) الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمد بن عمر)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار عالم المعرفة.

(١٥) ابن أبي زمنين (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المري)، تفسير القرآن العزيز (وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية.

(١٦) السعدي (عبد الرحمن بن ناصر)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(١٧) أبو السعود (محمد العمادي)، تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، عام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

(١٨) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة الثانية عشر، عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(١٩) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٠م.

(٢٠) الشعراوي (محمد متولي)، خواطر الشعراوي، المجلد الخامس عشر، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة.

(٢١) الشنقيطي (محمد الأمين بن محمد المختار الجكني)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٢٢) الشهاب (البغدادي الخفاجي)، تفسير حاشية الشهاب (عناية وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، المكتبة الإسلامية محمد أزمير، ديار بكر، تركيا.

(٢٣) الشوكاني (محمد بن علي)، تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، الطبعة الثانية، عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٣٤م.

(٢٤) الصابوني (محمد علي)، صفوة التفاسير، مجلد (٨)، مكتبة الغزالي، دمشق، بيروت.

(٢٥) الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير)، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مطصفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثالثة، عام١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

(٢٦) طنطاوي (محمد سيد)، التفسير الوسيط، مطبعة السعادة، عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(٢٧) ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، طبعة دار سحنون للنشر، تونس عام ١٩٨٣م.

(٢٨) الغرناطي (أبو محمد عبد الحق بن عطية)، تفسير المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق أحمد صادق الملاح، د. عبد السلام عبد الشافي، عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة أولى، عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٢٩) الغرناطي (ابن محمد عبد الحق بن عطية)، تفسير الدرر في تناسب الآيات والسور، عام ٨٨٥هـ، تحقيق د. عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٣٠) الغرناطي (أحمد بن الزبير الغرناطي)، تفسير ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة، عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣١) الفيروزابادي (أبو طاهر بن يعقوب)، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، توزيع المكتبة التجارية، المروة، مكة المكرمة.

(٣٢) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، تفسير الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الجزء الحادي عشر، الطبعة الثانية، عام ٦٥/ ١٩٦٦م.

(٣٣) ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، مكتبة الثقافة الدينية، العتبة، القاهرة.

(٣٤) ابن كثير (إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، قصص الأنبياء، دار التراث العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣٥) الكلبي (محمد بن أحمد بن جزي)، تفسير التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة دار السعادة.

(٣٦) الماوردي (علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي)، تفسير النكت والعيون، راجعه السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣٧) المحلي (جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد)، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، تفسير الجليلين (الجلالين) (مذيلاً بكتاب لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي)، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، الباب الأخضر، الحسين، القاهرة.

(٣٨) المراغي (أحمد مصطفى)، تفسير المراغي، الجزء السادس عشر، الطبعة الأولى، عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٣٩) مسلم (مسلم بن الحسين القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، طبعة استنابول، الطبعة الثالثة المأخوذة من شرح الإمام النووي، باب فضائل عيسى عليه السلام، الجزء الخامس، عام ١٣٣٢هـ.

(٤٠) وزار الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، التفسير الميسر، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، المملكة العربية السعودية.